روايات عبير



جين كوري

دليلة

www.liilas.com/vb3
Sarah

٧٠

روايات عبير

HARLEQUIN – "ABIR" – No. 70

دليلة

عندما قصت دليلة شعر شمشون الجبار، منتزعة بذلك قوته الخارقة، ندمت ندماً عظيماً، لا لأنها خانت عهده فحسب بل لأنه فقد ميزته الخاصة التي تفرقه عن بقية الرجال وأيضاً لأنه بات رجلاً حزيناً.

الا ان تامي دينتون التي اطلق عليها ريك هاتون اسم دليلة بسبب عنادها، لم تكن قادرة على انتزاع نفسها من مزرعته في استراليا واللحاق بخطيبها جوناثان.

وعندما عاد جوناثان يبحث عنها حاولت مرة اخيرة الخروج عن سلطة ريك هاتون... لكن الحب، هذه المرة، كان لها بالمرصاد.

www.liilas.com/vb3
Sarah

العنوان الاصلي لهذه الرواية بالانكليزية
THE IMPOSSIBLE BOSS

© JANE CORRIE 1975
© 1983 Harlequin (Cyprus) Ltd.

liilas.com

المراسلات:
Harlequin (Cyprus) Ltd.
29 Michalakopoulou St.
Athens T.T. 612, Greece

Printed in Great Britain by
Richard Clay (The Chaucer Press) Ltd, Bungay, Suffolk

sarah

١ - خطأ في العنوان

اشارت تامي دالتون الى شاحنة المكتب التي أوصلتها من ادلايد مودعة، ثم سلكت في ممر واسع محاط بالأشجار الصغيرة المليئة بالأزهار. انها نادمة لأنها جاءت في عجلة ولم يتح لها الوقت لتكمل زينتها قبل ان تمثل امام رب عملها الجديد.

القت نظرة سريعة الى ثوبها المصنوع من الكتان لتتأكد من انه في حالة جيدة ثم عدلت قبعة القش على رأسها وتطلعت الى المنزل القديم الضخم وقالت في نفسها:

«يا الهي كم هو كبير هذا المنزل! لا شك ان هناك من يصونه».

تسلقت السلالم التي تؤدي بها الى باب المدخل وهي تتساءل اين تقع المزرعة، فقد قالوا لها في مكتب التوظيف ان العمل مزارع.

sarah

قرعت الجرس وانتظرت وهي تجيل بصرها في الأراضي التي تحيط بالمنزل: مروج خضراء مسيجة، تمتد من الجانبين. . . كل هذا يذكرها تماما بوطنها انكلترا. امام المرج والأراضي الخضراء والأشجار الصغيرة التي تتجمع حول المنزل، شعرت تامي وكأنها وسط منطقة ساري في الريف البريطاني الذي غادرته قبل ستة اسابيع.

سمعت اقداماً تقترب، فاذا برجل يتوقف ويتفرس فيها ثم يقترب منها. انه طويل القامة، اشقر الشعر، والشمس لوحت جلدة بشرته التي كانت سمراء داكنة. بالنسبة الى تامي، الآتية من بلاد الوجوه الشاحبة، كان ذلك تحولاً جميلاً ورائعاً، لكن تصرف هذا الرجل كان بعيداً جداً عن الحفاوة والترحيب. ارادت ان تبتسم له لو انه شجعها على ذلك، لكن وجهه كان يبدو وكأنه منحوت من صخر. يرتدي قميصاً زرقاء مربعة وسروالاً رمادياً، واناقته لا تدل على انه موظف بل [illegible] عمل. يبدو انه من نوع الرجال الذين يحبون اصدار الأوامر وينتظرون ان تنفذ بسرعة والا. . . وبرغم حرارة الطقس، ارتعشت.

قال في جفاء:

«ماذا؟!».

كأنه يقول: «اهتمي بامورك ودعيني اهتم بأموري».

اجابت:

«انك في حاجة الى مساعدة، وقد وصلت على الفور».

يبدو ان ما قاله لم يكن مناسباً، فقد رأت عينيه الرماديتين تضيقان. قال بنبرة ساخرة:

«صحيح؟ اذن احب ان ابلغك، يا جميلتي، ان عليك الانصراف من هنا في اسرع وقت».

حدقت تامي فيه مذعورة. انها تعرف جيداً انها لا تبدو في حقيقة سنها. كان عليها ان ترفع شعرها الى الوراء. ربما هذه التسريحة تجعلها تبدو اكبر سناً.

«عمري ٢٢ سنة وامتلك كفاءة ومؤهلات لا بأس بها».

«هذا اكيد. لكن كان عليك ان تستعلمي عني اكثر. انني افضل النساء الممشوقات والأكثر امتلاء، اما انت فلا تجذبينني».

لم يعد في وسعها ان تتحمل المزيد من كلماته الجارحة.

«هل انت في حاجة الي، ام لا؟».

نظر اليها في برود وقال:

«انت انكليزية، أليس كذلك؟».

لم تجرؤ على الرد، فأضاف يقول:

«صحيح انني في حاجة الى مساعد، لكنك لن تكوني انت. اذا اردت الانتظار هنا في الشرفة، فسأطلب من سائق سيارتي ان يوصلك الى المدينة».

انصرف تاركاً تامي فاغرة الفم. جلست في احد المقاعد المصنوعة من الخيزران زامة شفتيها. كلما امعنت التفكير في الموضوع، أدركت انها نجت من خطر داهم. انها ليست ممشوقة ولم [illegible] عليها بنعمها، وهذا يعني انها غير ملائمة. فكرت باحدى فتيات مكتب التوظيف، كاي، التي كانت ترغب في هذه الوظيفة لأن المكان قريب من منزلها. لكن عملها الحالي لا ينتهي قبل اسبوعين. لا شك في انها الفتاة المناسبة لهذا العمل، ولدى عودتها الى المدينة، ستتوجه تامي الى مكتب التوظيف وتطلع المسؤولين على ما حدث لها. ستجعلهم يزيلون اسم الرجل من لائحة ارباب العمل.

لم يطل انتظارها، فقد سمعت صوت سيارة جيب تقترب من المنزل نهضت وتناولت حقيبتها وتوجهت نحو السيارة. كان السائق

liilas.com

رجلاً قصير القامة، متجعد الوجه، اسمر. القى اليها نظرة فضولية وهو يفتح لها باب السيارة. تناول منها الحقيبة ووضعها داخل الصندوق، ثم صعد واقلع.

لم يطرح عليها اي سؤال مما جعلها تتضايق. كان السائق ينظر الى الطريق امامه، ولم يبدأ الكلام الا بعد فترة طويلة اذ قال:

«ما كنت لأصدق هذا ابداً».

انتفضت في ذهول وتفرست فيه وقالت:

«عفواً؟».

«ريك لا يحب المتطفلات».

«المتطفلات؟ قد اكون غبية، لكني لم افهم تماماً ماذا تعني».

قطب حاجبيه والقى اليها نظرة سريعة، وفي اشارة من رأسه دلها الى المنزل الذي غادرته الآن وقال:

«ان ريك هاتون هو اغنى مالكي الأراضي في الجنوب. لقد اعتدنا على هذه الألاعيب، لكن ما زال هناك ما تنساه الفتيات دائماً، وهو ان لريك رأيه الخاص في الموضوع. سيتزوج في اليوم الذي يختاره هو لنفسه، ومن المرأة التي يختارها هو بنفسه. ومن المؤكد انه لن يتزوج من امرأة تقطن المدينة».

رفعت جبينها ثم انفجرت ضاحكة، بعدما فهمت الجانب المضحك من القضية. تلعثمت وهي تقول:

«بدأت الآن ارى الأمور في وضوح. كنت اتساءل لماذا طردني قبل ان يعرف مؤهلاتي ويتأكد منها. لا شيء اغرب من هذا. قطعت مسافة لا بأس بها لألقى مثل هذه المعاملة».

عدلت قبعتها من جديد واضافت:

«اذا كان السيد ريك هاتون في حاجة الى سكرتيرة، ففي امكانه ان ينتظر طويلاً للحصول عليها. انني ارفض العمل لديه حتى ولو

دفع لي اضعاف ما استحق».

بقي السائق صامتاً فاغر الفم، ثم اوقف السيارة جانباً والتفت الى تامي وقال:

«تقصدين انك ما اتيت الى هنا لكي توقعيه في حبالك؟».

نظرت اليه في اشفاق لأنها ادركت ان الغلطة ليست غلطته وسألته:

«ما اسمك؟».

«داني».

«ارجو ان تعلم يا داني انه اذا كان الجميع يعتبرون السيد هاتون يتمتع بقدرة عجيبة على الاغراء، فإنه بالنسبة الي ليس كذلك. اتيت الى هنا استجابة لعرض عمل».

«هل انت انكليزية؟».

«نعم. وصلت الى استراليا منذ ستة اسابيع».

«آسف. لم اتمكن من معرفة لهجتك، اذ من الصعب التمييز بين اللهجات خاصة بالنسبة الى من يعيش في المدن. لقد ارتديت احلى ثيابك آملة ان تثيري شعور ريك، ومع ذلك بقي بارداً».

«لا ادري ما الذي يؤثر فيه».

«انني اعرف ريك منذ ان كان طفلاً. ليس للمرء ان يعاتبه اذا كان يحقد على النساء».

سكت لحظة ثم اضاف وهو يحدق في التلة امامه:

«لقد هجرت والدته المنزل وهو بعد في سن الطفولة، تاركة اياه مع والده، وهربت مع شاب وقعت في غرامه».

تنفست تامي الصعداء. بدأت الأمور تتضح. لكنها لم تفهم لماذا يريد ريك هاتون الانتقام من كل نساء الأرض. واستوضحت داني الأمر، فابتسم وقال:

«انا لا اقول انه ينتقم من كل النساء. فهو ليس زاهداً بهن. انه يُعجب بالفتيات مثل اي رجل آخر، ما دمن يفعلن ما يريد من دون اعتراض».

التفت من جديد نحو تامي وقال:

«هل قلت ان مكتب التوظيف هو الذي ارسلك الى هنا؟ انك لا تشبهين خادمة في الخمسين من عمرها».

اخرجت رسالة من حقيبتها ودفعتها الى دالي، فقرأها ورفع حاجبيه وقال مستغربا:

«الآن فهمت. كان عليك ان تذهبي الى منزل جيم هامشون، انه يسكن في الطرف الآخر من المدينة».

حك رأسه واضاف:

«فهمت الآن كيف حدث الخطأ: ان منزل ريك يدعى «الصخرة» ومنزل جيم «الحجر» هل تفهمين؟».

اجابت تامي التي بدا عليها التعب والتوتر.

«لا. كيف بامكاني الذهاب الى منزل جيم هامشون».

اقلع دالي سيارته واجابها في لامبالاة:

«لا داعي للقلق. سوف اوصلك».

واخيراً اطلقت زفرة ارتياح.

اقتربت السيارة من المدينة التي لم تكن صغيرة كما قال لها السيد سلبي في مكتب التوظيف.

البيوت الخشبية تقترب من بعضها البعض. ولفت انتباهها عدد كبير من المحلات وفندق في الشارع العام. قريباً سيصلان الى طرف المدينة.

هنا بدأت الطرقات تشبه السكك الحديدية. ثم مرت السيارة قرب غابة صنوبر صغيرة. وشاهدت تامي بعض المنازل المبنية على

رأس تلة بعيدة.

قال دالي:

«ها قد وصلنا. ان جيم انسان محترم وستلقين لديه كل ضيافة وحسن معاملة. لديه ابنة، وستكون بمثابة رفيقة لك».

دخلت السيارة المكان ورأت تامي مباني عدة تمتد حول حقل كبير، ومن بعيد قطيع بقر حلوب ومراعي واسعة.

المنظر يختلف تماماً عن المزارع الانكليزية. هنا المكان شاسع....

وسمعت صوت اشياء تتلاطم عندما مرت السيارة امام عنبر كبير. فأدركت انه لا بد ان يكون مصنعاً للالبان. وتذكرت للحال المزارع في وطنها حيث كانت ترافق والدها الطبيب البيطري في الحالات الطارئة.

خيمت عليها سحابة حزن. هذا الزمن الهانيء ولّى. بعد وفاة والدها، اشترى عيادته طبيب بيطري آخر. كانت تتأمل ان تقيم في القرية المجاورة وتحافظ على وظيفتها، كسكرتيرة ومساعدة. لكن آمالها تبددت عندما التقت زوجة المالك الجديد. فقد افهمتها بتهذيب ولباقة انه لن يحتاج الى خدماتها بعد الآن. لم تصدق تامي بأن زوجته ستساعده وهي صاحبة الاظافر الطويلة المطلية. كانت اكيدة انه سيحتاج الى مساعدة، لكنه لم يكن يريدها هي بالذات، بعد اصرار الزوجة على موقفها.

ابتسم جوناثان عندما اخبرته في غضب انها لم تفهم لماذا لا يريدها المالك الجديد. وقال لها: «انظري الى نفسك في المرآة». اتجهت بافكارها نحو جوناثان! انها هنا، بسببه هو! يكفي هذا النهار المرهق ولا تريد ارهاق نفسها اكثر بالتفكير فيه.

ابتعدت السيارة عن المزرعة ثم دخلت ممراً يصل بها الى المنزل. انه كناية عن مزرعة كبيرة ترى فيها المواشي وتحيط بها حديقة واسعة.

www.liilas.com/vb3 Sarah

العشب الأخضر الذي يكسو الأرض والشجيرات وأحواض الزهور. كلها تشكل ديكوراً رائعاً. لم تكن هذه المزرعة كبيرة كمزرعة ريك هاتون.

فتح الباب في الوقت الذي توقفت السيارة، وظهر امام الباب رجل طويل القامة في الخمسين من عمره، اقترب منها وعلى وجهه امارات القلق».

قال داني:

«مرحباً، جيمي. هذه هي سكرتيرتك. فقد حصل التباس عند ريك هاتون الذي وبخها بعنف».

حدقت تامي في داني بنظرة عتاب ثم تنبهت للرجل الذي كان يمد لها يده. فصافحته بعدما شعرت بارتياح: انه لا يشبه ريك هاتون في شيء.

«آنسة دانتون اني سعيد جداً لرؤيتك، ان الخادمة التي طلبها ريك جاءت الى هنا، وارسلتها اليه منذ نصف ساعة. كما ارسلت برقية الى ادلايد وجاءني الرد بأنك في طريقك الينا، فبدأت اقلق عليك».

قال هذا ثم دخل معها.

وأضاف وهو يدخلها الى غرفة تبدو كأنها قاعة الجلوس:

«لا تلومي ريك على ما فعل. ان بعض النساء عنيدات جداً. يخترعن الاعذار من اجل اللجوء اليه. بعضهن يفتعلن الحوادث وبعضهن الآخر يدخلن في سيارتهن ويتذرعن بأنها فارغة من البنزين، الى ما هنالك من مشاكل، الغاية منها فقط البقاء قرب ريك اكبر وقت ممكن. قلت له مرات عدة ان الوقت حان كي يتزوج ويضع حداً لهذه المهزلة».

طلب من تامي ان تجلس في مقعد واسع من الخيزران والقى اليها

نظرة ثاقبة:

«انت متعبة، أليس كذلك؟ سأطلب من بولا ان تأخذك الى غرفتك. ارجو ان ترتاحي حتى يحين موعد العشاء. بولا ستهتم بك».

ابتعد قليلاً ليناديها. وبعد قليل دخلت الى القاعة فتاة شابة، شعرها الأشقر مرفوع بشكل ذنب حصان. كانت ترتدي بنطلوناً من الجينز وقميصاً قطنية. لا شك في انها ابنته.

قال السيد هامتون لابنته:

«رافقي الآنسة دانتون الى غرفتها وقولي لأدمي ان تحضر العشاء في الساعة السادسة... تماماً».

قالت بولا:

«من هنا، من فضلك».

تبعتها تامي. فدخلت غرفة كبيرة للجلوس، منيرة، ثم مرّتا بغرفة الطعام وادخلتنا بعد ذلك ممراً وفي اخره توقفت بولا وفتحت الباب:

«هذه هي غرفتك. اما غرفتي فهي هنا، قرب غرفتك. وأما الحمام فهو هنا».

دخلت تامي الغرفة وتبعتها بولا. كانت حقيبتها موضوعة على البساط قرب السرير. الغرفة كانت بسيطة لكنها مريحة. الأثاث قديم داكن. وغطاء السرير الملون وحده يعطي رونقاً للغرفة. فقط منضدة الزينة من الطراز الحديث تبدو غريبة مع بقية الأثاث.

التفتت تامي واذا بعيني بولا البنيتين تحدقان فيها، فابتسمت لتامي وقالت:

«انها غرفة رائعة!».

«انها قديمة العهد. لكن والدي لا يريد ادخال اي تغييرات على

الاثاث والديكور».

ثم اشارت الى منضدة الزينة:

«لقد اشتراها فقط عندما علم بمجيئك. انت انكليزية، اليس كذلك؟».

ثم جلست على السرير وحدقت بتامي في نظرة مليئة بالاهتمام:

«كيف هي انكلترا؟ غادرها والدي عندما كان صبياً، وهو يقول انه يحب العودة الى هناك ولو لمرة واحدة، اذا اسعفه الحظ. لكني اعتقد انه لن يعود الى هناك، ما دام منهمكاً باعماله».

جلست تامي بقربها:

«ان انكلترا لا تختلف كثيراً عن هنا. هناك مناطق خضراء شاسعة ومدن. لكني لم اصل الى استراليا الا منذ ستة اسابيع وامضيت معظم الوقت في ادلايد. اذا طرحت علي السؤال نفسه بعد ان يمضي علي وقت اطول هنا، فسأكون قادرة على ان اقول لك ما هو الفرق بين البلدين».

ابتسمت بولا ابتسامة انارت وجهها.

«هل ينبغي ان اناديك آنسة دانتون؟. هنا نكتفي بذكر اسمائنا الأولى. ما هو اسمك الأول؟».

اجابت في نظرة ساخرة:

«تابيثا».

فوجئت بولا وقالت:

«صحيح؟».

وافقت تامي في نظرة داكنة.

«لكن، ارجوك ان تناديني تامي كما تعود الجميع ان ينادوني هكذا».

«ان هذا الاسم يليق بك كثيراً».

القت بولا نظرة الى ساعتها.

«يا الهي! تأخرت عن العشاء. وسيغضب والدي. انه يحب تناول الطعام في الوقت المحدد».

اسرعت نحو الباب واضافت:

«امامك عشر دقائق لتستعدي وسأحضر لأرافقك الى العشاء».

اسرعت تامي في اخراج ادوات الزينة من حقيبتها، واخذت حماماً سريعاً وارتدت فستاناً من الكتان الأخضر كان في حاجة الى تمليس، لكنها لم تعط اهمية لذلك بسبب ضيق الوقت.

وفي الوقت الذي كانت تامي تسرح شعرها، دخلت بولا وهي ترتدي فستاناً من القطن الازرق، بسيطاً وجميلاً في آن واحد. ارخت شعرها على كتفيها وبدت اصغر مما كانت تبدو.

«هل انت مستعدة؟».

«نعم».

خرجتا معاً الى قاعة الجلوس. كان السيد هامتون في انتظارهما ومعه رجل طويل القامة، اسمر ذو وجه نحيف وحساس. يرتدي سروالاً كاكياً وقميصاً بيضاء. فقدم السيد هامتون الرجل:

«تلميذي، جيري تالر. جيري هذه الآنسة دانتون».

قهقهت تامي ضاحكة وقالت وهي تنظر الى بولا لترى ردة فعلها.

«ارجوك. اني ادعى تامي دانتون».

لكن بولا ردت عليها الابتسام وظلت ساكتة.

نظر اليها جيري باعجاب ومد يده يصافحها.

«تشرفنا يا تامي».

وبعد قليل جلس الجميع الى مائدة الطعام. وقدمت الطعام امرأة نشيطة تدعى ادمي. وهي متقدمة في السن شعرها الرمادي مرفوع بكعكة. ابتسمت لتامي كأنها تريد ان تقول لها: اهلاً وسهلاً. فهي

تقوم بالأمور المنزلية بشكل عام. اما الخادمات اللواتي يقمن بالأعمال الكبيرة فهن من الابورجينالز (السكان الاصليون). كان العشاء مؤلفاً من روستو الحمل والبطاطا المقلية والبازلاء، والصحن الاخير كان مؤلفاً من قالب حلوى محشو باللوز والمربى والقشدة السميكة. بالنسبة الى تامي، كان الطعام شهياً ودسماً، ولم تتمكن من انهاء الوجبة، ولم تجد الكلمات المناسبة لتعبر عن اعجابها بكل ما اعدته ادمي احتفاء بها.

طلب السيد هامتون من تامي ان تنهي الحلوى اذ قال:

«لا بأس اذا سمنت قليلاً، واعتقد أنك بحاجة الى ذلك بعض الشيء».

توجهت تامي بابتسامة جيري الساخرة الذي قال في صوت مرح:

«انتبه يا جيم! الفتيات في ايامنا هذه يحافظن على نحافتهن ورشاقتهن».

قالت تامي:

«آه. ليس هذا هو الموضوع. يمكنني ان آكل ما يطيب لي، من دون ان اسمن. اذا كنتم تريدون مني ان اسمن فإن آمالكم ستخيب».

اشار جيم هامتون الى ابنته بحركة من رأسه:

«وابنتي ايضاً كذلك، تأكل احياناً اكثر مني. انظري اليها، انها نحيفة مثل والدتها».

جيري الذي ظل صامتاً، ابتسم في خجل وقال موجهاً كلامه الى تامي:

«لا تخافي فسوف تجلبين الآخرين من دون شك».

فتحت بولا عينيها الواسعتين ثم حدقت من جديد في صحنها.

تناول الجميع القهوة في الشرفة حيث كان الطقس منعشاً.

جلس جيري قرب تامي وقدم اليها سيكارة. لم يكن يتكلم كثيراً وفهمت انه غير ثرثار.

طرح عليها السيد هامتون اسئلة حول بلدها انكلترا. حدثته تامي عن القضايا السياسية والوضع في البلاد. واستمر الحديث أكثر من ساعة وهم ما يزالون مسترخين في الشرفة. وفجأة دخلت سيارة في الممر وتوقفت امام المنزل. كان الظلام حل والنجوم تلمع. صفق الباب وسمعت تامي صوتاً لن تنساه. «مساء الخير، يا جيم. هل يمكنني احتساء القهوة معكم؟».

«طبعاً، يا ريك، ادخل».

نهضت تامي بسرعة:

«المعذرة يا سيد هامتون. اني اشعر بالتعب. فالنهار كان طويلاً واود ان اعود الى غرفتي وأرتاح. تصبحين على خير يا بولا. تصبح على خير، يا جيري».

توجهت نحو الباب بسرعة. فقال ريك هاتون:

«اود ان اقول لك كلمة واحدة، يا آنسة دانتون، لو سمحت».

كان ذلك امراً اكثر مما كان طلباً.

جمدت تامي والتفتت ببطء. كان قد اقترب منها، فلم يعد في امكانها ان تتحاشاه. فراحت تتفرس فيه في هدوء:

«وماذا عندك؟».

كان وجه ريك هاتون غير واضح في العتمة، لكن خيل اليها انه كان يبتسم. نعم، كان يبتسم! فقد شاهدت بريق اسنانه البيضاء الناصعة.

قال في بطء وسخرية:

«يبدو ان عليّ ان اعتذر منك».

لم يبد لتامي انه نادم بالفعل.

«صحيح؟ ولماذا؟».

سمعته يتنفس بعمق. تقدم منها وتقلص:

«لنقل اني لم استقبلك بحرارة كما يجب».

اجابت:

«آه، لا تشغل بالك. فقد اعتذر عنك السيد هاملتون. اعتقد ان حظي كبير لانه مديري. يبدو انه سيعاملني معاملة جيدة».

استدارت نحو الآخرين وتجاهلت كلياً الرجل الواقف قربها، وقالت:

«ليلة سعيدة، تصبحون على خير».

ودخلت الى غرفتها بعد ان عبرت المنزل في خطى هادئة.

كادت تنفجر غضباً وهي تخلع ملابسها وترمي حذاءها. استحمت وسرحت شعرها وما لبثت ان سمعت خطوات. ثم فتح الباب ودخلت بولا فجأة:

«تامي! هل تعرفين ما قمت به؟ لقد اعلنت الحرب على «الزعيم الأبيض الكبير».

«آه، صحيح!».

انفجرت بولا بالضحك ثم بدت جدية:

«اعتقد انك لا تعرفين اي ورطة ادخلت نفسك فيها. ان احداً لا يستطيع ان يغضب ربك».

«انها الطريقة الفضلى ليتعلم انه ليس وحده في هذه الدنيا. لا تخافي سيشعر بالراحة، فهو في حاجة من وقت الى آخر لأن يتحداه احدهم وينبهه الى اخطائه».

«تامي! انك تتكلمين مثل استاذي في مدرسة في ادلاييد».

بدّلا الموضوع وراحا يتكلمان بصداقة. وعرفت تامي ان بولا في السابعة عشرة من العمر وانها طالبة جامعية. وهي تمضي خمسة ايام

في الاسبوع في المدينة وتأسف لعدم استطاعتها قضاء الأسبوع كله في المزرعة وذلك لأن جامعتها بعيدة. كما انها تعيش مع قريبة لها تسكن في المدينة.

«سأكون هنا في عطلة نهاية الاسبوع. اني احضر دائماً السهرات الراقصة التي تقام مساء كل يوم سبت. في الغد ستقام سهرة ويجب ان تحضريها».

قبل النوم ظلت تامي تفكر بالسهرة التي ستصحبها بولا اليها. وقالت لنفسها: «قد اذهب. شرط الا يحضر «الرئيس الأبيض الكبير»!.

٢ - شيء كالحلم المستحيل

استيقظت تامي باكراً صباح اليوم التالي. وحلت الشمس غرفتها من كل الجهات. بقيت عدة لبرهة لتتذكر أين هي وسرعان ما استعادت حوادث الأمس. وهي الآن تنتظر بفارغ الصبر ان تبدأ العمل. لقد تدربت لمدة اسبوعين، في مدينة ادلايد، استعداداً للقيام بكل المهمات التي يمكن ان توكل اليها، سواء في المكتب او في المزرعة. وكان عليها ان تختار بين ثلاثة مراكز، لكنها فضلت المزرعة التي تقع على بعد مئة كيلومتر من ادلايد في اقصى وادي باروسا الشهير.

وهمست لنفسها:

«سأفرح لوجودي هنا، انني اشعر بذلك».

وتحولت افكارها الى انكلترا. انه شهر شباط (فبراير)، ولا شك في ان الثلج ينهمر هناك. وراحت تفكر في جوناثان. انها لا تزال غاضبة لما حدث في القطار. فقد كان موافقاً على ان تسافر لفترة معينة. فهي في حاجة الى اقامة صلات مع الحياة... بعد وفاة والدها، كان جوناثان يعتني بها. وهي بكت على كتفه وفي منزله استعادت صحتها لتستأنف الحياة من جديد، يتيمة الأب والأم.

جاء جوناثان الى القرية التي كانت تعيش فيها تامي قبل ثلاث سنوات. وهي قرية والدته. واشترى قصراً ريفياً قديماً كان يملكه سيد المكان. وبعد مرور وقت قليل على وجوده في القرية تعرف الى تامي، عندما جاء الى عيادة والدها الطبيب البيطري ومعه كلبه من اجل ان يحقنه بالطعم المطلوب. ومنذ ذلك الوقت وهو يبدي اعجابه بها بصورة متواصلة. وتامي الفتاة المتواضعة فوجئت بمعرفة نحوها، اذ كان جوناثان وسيماً، غنياً، ورقيقاً لطيفاً. وهذا يمكنه ان يختار انقى الفتيات وافضلهن جمالاً. لم تكن تامي تتأمل نفسها في المرآة ملياً. شعرها اسود طويل ووجهها بشكل القلب وعيناها زرقاوان وكبيرتان. كلها اشارات الى الجمال المتناسق. احب والدها جوناثان كثيراً، الذي كان يزوره في استمرار. كان سهلاً على تامي ان تقع في غرامه، لكنها لم تفكر في الأمر لحظة. القرية كلها كانت تتوقع ان يتزوجا وخاصة والدة جوناثان. اما هو فكان يعتبر انه ما زال مبكراً على الزواج وامامه متسع من الوقت لذلك. في الظاهر كان مرحاً وعباً، لكن تامي اكتشفت فيه عقداً خفياً. كان يدير عملية استيراد وتصدير مهمة ولا يسمح لاحد بان يسيطر عليه ويفرض رأيه.

بعد وفاة والدها وجدت تامي نفسها وحيدة. فقد ماتت امها عندما كانت صغيرة. في البداية، كانت مرهقة وحزينة، مما اتاح لجوناثان ان يسيطر عليها. لكنها بدأت تكتشف تدريجياً الى اي درجة

راح يتحكم في حياتها. وفهمت بسرعة ان عليها، اما التحرر منه، واما الاستسلام لضغوطه التي كان يمارسها عليها. وقررت في النهاية استعادة حريتها، فهي ما تزال في سن تجعلها قادرة على التصرف كما يحلو لها.

وتذكرت الاحساس بالارتياح الذي شعرت به وهي تحلق في الطائرة بعيدة عنه. لقد فهم جوناثان ذلك وهو لا يلومها على اي شيء. كان كل شيء سيتم على ما يرام لولا ان تامي اكتشفت وجود احد موظفي جوناثان على متن الطائرة نفسها. كان يحاول ان يظل مجهولاً. وهنا بدأت ترى بوضوح اكثر. ان في نية جوناثان ان يراقبها ولو ذهبت الى آخر العالم. ولما وصلت الطائرة الى مطار سدني، توجهت الى المكان الذي نصحها ان تنزل فيه، اذ ان لجوناثان اتصالات في معظم بلدان العالم ولا سيما في استراليا.

وبعدما فكرت ملياً بالأمر، قررت مغادرة سدني فجأة واختارت مدينة «دلاين» محطتها الثانية، والقت جانباً بكل العناوين التي اعطاها اياها جوناثان قبل مغادرتها بلدها، حيث يمكنها ان تجد عملاً ما. ولم يفهم عندما اصرت بأنها لا تريد مساعدة احد وخاصة هو وانها تنوي الاتكال على نفسها. وكان جوابه بعد ان القى اليها نظرة ساخرة: «عندما تشعرين بالملل من وحدتك، اتصلي بي، فأنا في انتظارك».

الآن عرفت تامي لماذا لم يعارض مشروع سفرها. اذ انه يعرف مدى تعلقها ببلدها، فهي تحب القرية حيث ولدت وترعرعت وكبرت. ويعرف ان الغربة مغامرة خطرة ورهيبة لا يمكنها ان تتحملها، وهو متأكد من انها ستعود بعد فترة وجيزة. غير ان تامي كانت متأكدة من انها ستجد في الغربة اصدقاء جدداً وسوف تجد عملاً بسهولة، فهي مؤهلة لان تكون سكرتيرة ذات خبرة. لكن العمل داخل مكتب، فكرة لا تغريها.

فكرت في ان تبحث عن عمل عند طبيب بيطري، غير ان ذلك سيعيد اليها الذكريات المؤلمة! وهي يجب ان تنسى الماضي. لكنها وجدت حلاً لمشكلتها عندما قدمت لها المضيفة في الطائرة احدى الصحف المحلية. وقرأت فيها اعلاناً يقول «مطلوب سكرتيرات مستعدات للسفر والتنقل وتأدية وظائف موقتة». هذا ما تسعى تامي اليه. فستتمكن من رؤية البلد وتتخلص من رقابة جوناثان اياها.

نقرة على الباب انتشلتها من هواجسها. دخلت فتاة صغيرة من السكان الاصليين قصيرة ونحيلة، تحمل صينية عليها ابريق الشاي.

شكرتها تامي وسألتها:

«ما اسمك؟».

قالت في خجل قبل ان تخرج بسرعة:

«ميري».

وبينما كانت تحتسي الشاي نظرت تامي الى ساعتها: انها السابعة. وهي تعرف ان موعد فطور الصباح هو في الثامنة. امامها متسع من الوقت لترتدي ثيابها وتقوم بنزهة قصيرة قبل الفطور. نسيت وجود بولا التي التقتها وهي خارجة من الحمام.

«صباح الخير، تامي. اتنوين ان تمارس رياضة كرة المضرب، هذا الصباح؟».

رفضت تامي العرض، لانها تعرف ان السيد هاملتون سيكون في حاجة اليها، ربما ليشرح لها طريقة العمل.

«اذن، سوف تحضرين السهرة الراقصة، اليس كذلك؟».

«ربما. لكن هل سيكون هناك؟».

انفجرت بولا ضاحكة، اذ ادركت تماماً من كانت تامي تقصد. وقالت:

«لا تقام سهرة من دونه. ان كل الفتيات هنا يتمنين حضوره».

«في هذه الحال، لن اذهب».
ضحكت بولا واشارت بسبابتها متهمة تامي:
«انت تخافينه!».
«ابداً».
«احضري الحفلة وبرهني انك لا تخافينه».
«انني لا اعرف احداً».
«تعرفين جيري وتعرفينني انا. سيكون جيري حزيناً اذا لم تأتي».
نظرت اليها تامي وقد فاجأتها الملاحظة:
«جيري؟!».
«قال انك مناسبة له».
«وماذا يعني بذلك؟».
«هو يعني انك تعجبينه».
«انت تمزحين!».
«آه! ويا لحظك. ان اهله يملكون مزرعة كبيرة في كوينزلاند».
«لم اره اكثر من خمس دقائق. انك تذهبين بعيداً في تخيلاتك. هل نسيت اني سكرتيرة والدك؟».
اجابت وهي تهز رأسها:
«آه! لا اهمية لذلك».
خلال النهار تبين لتامي ان قرارها الا تحضر الحفلة الراقصة سيلاقي معارضة شديدة. وقف سكان المنزل ضدها، حتى السيد هامتون بالذات:
«هنا، من النادر اقامة حفلات راقصة، وهي لا تقام الا في فصل الصيف. ومن الأفضل الافادة من ذلك».
وفهمت تامي ان عليها حضور الحفلة، سواء شاءت ام ابت.
امضت فترة النهار في زيارة الأمكنة التي تحيط بالمزرعة. انطباعها

الأول عن رب عملها، انه رجل مستقيم، لطيف لكنه فظ احياناً.
وبينما كان يشرح لها العمل داخل المكتب، كانت تامي تتساءل: منذ متى ترمل. وخيل اليها انه خسر زوجته عندما كانت بولا ما تزال طفلة، فليس في المنزل اي دليل لوجود عنصر نسائي.
«واذا احتجت الى امر ما، فما عليك الا ان تسأليني. اليوم، السبت، هو يوم عطلة. يمكنك ان تفعلي ما تشائين للترويح عن نفسك. مبتدأين بالعمل يوم الاثنين».
راحت تامي تتنزه في جهة المزرعة. وتساءلت كم من الهكتارات تبلغ مساحتها. ابتعدت عن الباب ووقع نظرها على حقول القمح والشعير. كانت تتمتع بأريج الهواء الخفيف وتترك لنظرها حرية الاسترسال الى ما وراء المراعي. لفتت نظرها نقاط بيضاء ووردية. انها المراعي. وقفت مفتونة امام هذا المنظر الخلاب.
لدى عودتها في المساء، طلبت منها بولا البدء بالاستعداد للحفلة الراقصة. ارتدت تامي فستاناً خاصاً بالسهرات ثم جلست امام مرآة منضدة الزينة والقت نظرة الى شعرها تتساءل كيف تسرحه. بدأت ترفعه الى الوراء عندما دخلت بولا:
«تامي! اجمل بكثير لو تركت شعرك ينسدل على كتفيك. لماذا ترفعينه الى الوراء؟».
سحبت الدبابيس وتركته يتساقط على كتفيها. وقالت:
«صحيح. معك حق. هكذا اجمل».
ثم القت نظرة الى فستان بولا الأزرق الفاتح المطرز بالأبيض. لكن بولا احمرت خجلاً عندما مدحتها تامي. فردت عليها بولا وهي تنظر الى فستان تامي البرتقالي والحريري.
«وانت ايضاً. فستانك انيق وناعم».
واضافت:

«يجب ان ترتدي باستمرار ثيابا في هذا اللون. انه يناسبك تماماً».

اصدقاء بولا جاؤوا الساعة الثامنة ليصطحبوا الفتاتين الى السهرة. لم يكن المكان يبعد سوى مسافة عشرين دقيقة. كانت القاعة مليئة بالناس عندما وصلتا.

وكانت تامي تعتقد بأن الحفلة ستكون سهرة فولكلورية. وفوجئت عندما اكتشفت وجود اوركسترا. كما لمحت بين الحضور جيري الذي ابتسم لها، فشعرت بالارتياح لأنه في امكانها ان تعتمد على رجل يراقصها. في الظاهر هذه الحفلة تشبه الحفلات التي تقام في انكلترا، غير ان الرجال هنا يشغلون زاوية في القاعة، وهم يحتسون القاموات، اصدقاء للشمس التي لوحت اجسامهم

كانت تتأملهم ضائعة كما هي عادتها، عندما لمحت وجه ريك هاتون. كان لونه الاشقر يميزه عن الآخرين. وكانت تحيط به شلة صغيرة من الرجال يصغون اليه في امعان واهتمام.

بدأت الاوركسترا تعزف، لكن حلبة الرقص ظلت فارغة برغم حماسة البعض واستعدادهم للرقص.

نظرت تامي الى بولا مستفسرة، فشرحت لها قائلة:

«ريك هو الذي يفتتح الرقص دائماً. انها قضية لباقة، اذ انه يملك المنطقة كلها تقريباً».

دهشت بولا واتسعت عيناها عندما رأت ريك هاتون يتقدم نحوهما. ورفعت تامي ذقنها ونظرت اليه. لكن ذلك لم يؤثر فيه، اذ ظل يتقدم. اعتقدت بأنه سيدعو بولا الى الرقص. تفرست فيه بنظرة مريبة عندما توقف امامها وقال:

«آنسة داتون؟».

حاولت ايجاد عذر لكنه انتزعها من يدها ليرغمها على الوقوف، ثم جذبها بقوة وتوجه بها الى حلبة الرقص.

همس في اذنها قائلاً:

«اظن بأن لا خيار لديك».

ذهلت تامي وهو يراقصها، عاصراً بذراعه خصرها. لم يتفوه بكلمة. وما ان انتهت الرقصة حتى اعادها الى حيث كانت جالسة ثم توجه الى مكانه.

نظرت اليه بولا مبهورة ثم قالت لتامي:

«كان تأثيرك عليه كبيراً. سبق أن قلت لك ذلك. هل تذكرين؟».

سألتها تامي بحيرة:

«لماذا اختارني انا بالذات لأرقص معه؟».

فكرت بولا ملياً كي تجد تفسيراً لما حدث ثم قالت:

«قد يكون اراد ان يبرهن لجيري ان لا حظ له معك الليلة. لكن الغريب في الأمر ان ريك اعادك الى هنا، فقد اعتاد ان يصطحب شريكته الى ما نسميه نحن مائدة الشرف المخصصة فقط لوجهاء المنطقة».

قالت تامي:

«اود ان اشكره لأنه لم يأخذني الى هناك. ماذا تقصدين بقولك انه اراد ان يبرهن لجيري انه لن يرقص معي؟».

«عندما يختار ريك فتاة للرقصة الأولى، فإنه يكون قد اختار شريكته للسهرة كلها».

«انا لست شريكته ولا ارغب في ذلك».

«سترقصين الليلة مع ريك فقط ولا يمكن لجيري ان يعترض».

عندما استأنفت الاوركسترا العزف، راحت تامي تفتش عن غرفة الثياب. فاذا عاد ريك ليدعوها من جديد الى الرقص، فإنها ستتوجه الى غرفة الثياب. ولكن لماذا القلق، فقد شاهدته يراقص

مرة اخرى».

صرخت بولا في استغراب:

«هكذا اذن!».

توقعت تامي ان تشرح لها بولا الأمر:

«لم يتصرف على هذا النحو ابداً. انه ولا شك غاضب».

«اتعتقدين انه اهانني عمداً».

«لا بأس يا تامي. قليلون هم الذين سيعرفون ماذا حدث».

القت تامي نظرة حولها ولاحظت نحوها المدعوين المتطلعة بعينه.

انها ردة فعل ريك امام برودة اعصابها عندما قدم لها اعتذاره. ماذا كان ينتظر منها؟ ان تركع وتشكره؟ لو انه اعتذر عما حصل بصدق لارتضت ذلك بطيبة خاطر، لكنه صدمها بعجرفته.

زمت شفتيها وهي تقول في نفسها انه بدلاً من ان يعتذر اهانها امام وجهاء البلدة كلهم.

«بولا، هل يتولى احد اصدقائك ايصالي الى المنزل؟».

«هذا مستحيل. فقد يعود ريك اليك».

«آه. لا! انه يتصرف هكذا عن سابق تصور وتصميم، وانا ارفض ان ابقى هنا انتظر منه اهانة اخرى».

قالت بولا في توسل:

«لا يمكنني ان اطلب من احد ايصالك الى المنزل، قبل ان تنتهي الحفلة».

شاب من المدعوين دعا بولا الى الرقص. وبقيت تامي وحدها، ضائعة تماماً. بعد دقائق رأها جيري والغضب ظاهر في نظراته وهي تترك السيد.

قال في همس:

«اعتقد بأنه رجل مدلل».

«هل يمكنك ان توصلني الى المنزل؟».

«طبعاً. ارجو ان تنتظريني قليلاً».

عندما عادت بولا اخبرتها تامي بما جرى بينها وبين جيري، فبدا على بولا الانزعاج:

«هذا قد يؤدي الى معركة بين جيري وريك».

«لماذا تعقدين الأمور؟ نال ريك ما يريد ولم اعد اعني له شيئاً».

لكنها كانت على خطأ. فما ان وصلت مع جيري الى الباب حتى كان ريك يسد عليها الطريق:

«هل تذهبين يا آنسة هاتون؟».

«نعم. فقد تلطف جيري وتطوع لايصالي. انني اشكو من صداع».

التفت ريك الى جيري وقال له في هدوء:

«اعتقد بأن هذا الامر يخصني».

قالت تامي وهي لا تدرك كعادتها ماذا يجري:

«لماذا كل هذا الضجيج؟ كل ما اريده هو ان اذهب من هنا».

تناول ريك يدها وقال:

«سأعيدك الى المنزل ما دمت تصرين».

القت تامي نظرة خاطفة الى ريك وهما يبتعدان عن المدينة. لم يتفوه بكلمة واحدة. كان يحدق في الطريق بكل انتباه. اقتربت السيارة من المنزل، وبعدما توقفت حاولت تامي النزول، لكن الباب كان مقفلاً. وبهدوء مد ريك يده ليفتحه. فقالت تامي في صوت بارد:

«شكراً يا سيد هاتون، لا داعي لأن توصلني ابعد من هذا».

صعدت السلالم راكضة، وبسرعة فائقة لحق بها ووصل الى الباب قبلها. رفعت عينيها نحوه وقالت في انزعاج وتوتر:

«ماذا تريد بعد؟».

«هل يحق لي ان اتقدم بطلب آخر؟».

انتفضت. من السهل معرفة ماذا يريد. لكن لماذا يحاول ان يزعجها الى هذا الحد؟ فجأة خيل اليها ان الرجل الماثل امامها ضخم وعملاق، وللمرة الأولى في حياتها شعرت بأنها فقدت كل وسائل الدفاع.

قالت بعصبية، وهي تحاول ان تستعيد وعيها:

«ماذا لو تجاهلت طلبك؟».

«لكن ذلك يجب ان يتم نتيجة لكل ما حدث في الحفلة».

اغمضت عينيها وقالت:

«خذ ما تريد بسرعة وارحل».

انفجر ضاحكاً، ثم جذبها بقوة نحوه وراح يعانقها. لم تدرك ان الرجل يكتشف فيها رغبا حياته وانه يحاول ان يجعلها تكتشف فيه شيء آخر. قال بنبرة غاضبة:

«اتوقع منك في المستقبل الكثير من الاحترام. ليس من امرأة تحركت وادارت لي ظهرها. هيا ارجعي والاتكي، فقد اردت الحرب فلنا صنعت، ولا تقبلك انك ستستسلمين بسرعة. احب ان احترق كما اريد، وستلاحظين ذلك يوماً. والآن، ادخلي وابكي على وسادتك».

فتح الباب ودفع نادين الى الداخل في قسوة لا تغتفر.

كانت تعلم الا يأتي الصد عاصفة ومسألة تحد، عادت مبكرة. توجهت الى غرفتها وسقطت في السرير منهارة الجسد. لم يسبق لها ان شعرت بمثل هذه الصدمة. ماذا فعل بها؟ نعم، لقد عانقها... لكن شيئاً آخر حدث، شيئاً لم يستطع عقلها ان يفهمه، شيئاً هو اهم من كل شيء. ليس هو الحب ولا الاهتمام ولا الشهوة ولا الرغبة.

كأنه ذلك الحلم المستحيل».

كانت قد نامت عندما عادت بولا، فلم تستطع ان تعرف كيف انتهت تلك السهرة.

٣- وظيفة مؤقتة

بدأت تامي العمل بانتظام، بعدما شرح لها السيد هامتون كل التفاصيل المتعلقة بالعمل.

رفعت حاجبيها عندما اطلعها على مساحة المزرعة: مئتان وخمسون هكتاراً. بالنسبة اليها المزرعة شاسعة، لكن السيد هامتون قال لها ان هذه المساحة صغيرة جداً بالنسبة الى المساحات في استراليا.

وجدت العمل مثيراً ومسلياً. وتبين لها انها لن تكون طيلة النهار اسيرة للمكتب، اذ قسماً من مهمتها ينحصر بزيارة معمل الاجبان لتسجيل المعلومات اليومية. وهناك تعرفت الى فريدي زوج امها. انه المائي، قصير القامة، انيق، عيناه تفيضان فرحاً. هاجر الى

استراليا من اجل شراء قطعة ارض يستثمرها لزراعة الكرمة. لكن الاسعار كانت مرتفعة وهو لم يكن يملك المال الكافي، ولا يزال يأمل في توفير المبلغ المطلوب ليحقق حلمه.

عادت تامي الى المنزل ودارت حول المزرعة حيث لمحت سيارة كبيرة امام الباب. قطبت حاجبيها، وما ان اقتربت حتى ادركت انها سيارة جاكوار، فتقلصت كتفاً. لا شك انها سيارة ريك هامتون. مرّت من امام السيارة، وفي ذاكرتها الحفلة الراقصة وطريق العودة. وعندما دخلت الى المنزل سمعت اصواتاً آتية من المكتب، فتوقفت حتى لم قررت الا تظهر قبل ان يكون ريك قد انهى حديثه مع السيد هامتون.

ألقت نظرة سريعة الى ساعتها. انه موعد تناول القهوة، فتوجهت الى المطبخ، حيث كانت امها تصنع عجينة «البريوش»، فسألتها تامي، مسرورة لأنها وجدت حجة لعدم الذهاب الى المكتب:

«هل يمكنني ان اعد القهوة بنفسي؟».

«ان السيد هامتون هنا، وارجوك ان تحسبي حسابه ما دمت تعدين القهوة».

«سأفعل».

بدأت تامي تعد القهوة ببطء، لعل ريك هامتون يكون قد رحل، لكنها سمعت صوته بينما كانت تفتح باب المكتب:

«شكراً يا تامي».

سكبت القهوة من دون ان تشعر بأي اهتمام من جانب هذا الرجل، مما اسعدها. قدمت الى السيد هامتون فنجانه، ووضعت فنجان ريك على الطاولة، ثم ابتعدت. لكن السيد هامتون ناداها وهو يقول، مشيراً بيده نحو المكتب، طالباً اليها ان تقوم بعمل جديد لريك فلمعت عيناها: أين هي تعمل بالضبط؟ واتجه ريك هامتون الى

رفة فعلها وقال:

«المحاسب الذي يعمل لديّ مريض».

عضت على شفتها. في كل حال الغلطة ليست غلطة السيد هامتون. قالت:

«حسناً. متى تعتقد انك ستحتاج اليها؟».

بقي ريك لحظة صامتاً قبل ان يرد عليها في نبرة بدت وكأنها مليئة بالتهديد:

«هل ازعجك اذا طلبت ان تكون جاهزة بعد اربع ساعات؟».

قال السيد هامتون مستغرباً:

«ما هذا يا ريك. هناك على الاقل خمسون لائحة. ألا يمكن ان تنتظر حتى صباح الغد؟».

ومن دون ان يعير انتباهاً لملاحظة السيد هامتون، ظلّ ريك يراقب تامي بحدة ثم قال:

«سبق ان قلت لي انك تملكين مؤهلات واسعة في مجال السكرتاريا، أليس كذلك؟ واعتقد انك تضربين على الآلة الكاتبة بسرعة. المحاسب الذي يعمل لدي يستعمل اصبعين فقط، وفي استطاعته ان ينهي هذا العمل في ساعة ونصف».

حاولت ان تحافظ على هدوئها واجابت:

«نعم، يمكنني استخدام جميع اصابعي للضرب على الآلة الكاتبة. هكذا تعلمت. غير انه ليس لدي اية فكرة عن العمل الذي تطلبه مني. لذلك لا اعرف كم من الوقت سيتطلب مني ذلك».

صرخ السيد هامتون:

«هذا صحيح يا ريك. ان جاك تيمثستون محاسبك يعرف عمله تماماً وكذلك الاسماء».

والتفت نحو تامي وقال:

«العمل هو كتابة عن جزّ صوف الماشية. ولكل عامل جدول. وعليك فقط ان تسجلي اسمه، وعدد الخراف التي جرى جزّ صوفها ومدة العمل».

تناول اللائحة عن المكتب وسلمها اياها، قائلاً:

«كل المعلومات مدونة هنا».

قرأت تامي اللائحة وقالت بدون ان تنظر اليه:

«يمكنني ان انفذ هذا العمل في اربع ساعات، يا سيد هاتون».

تذكّرت انها نسيت فنجان قهوتها في المطبخ، فخرجت من المكتب وهي ترتجف غضباً.

وصل داني في الرابعة تماماً ليأخذ اللوائح التي اعدتها تامي. كان يبدو عليه المرح لأنه متفق تماماً مع رب عمله. لقد قال لها ذات يوم:

«ان ريك رجل عظيم».

لم تشاهد تامي ريك هاتون خلال الاسبوع كله، لكنها لم تكن قادرة على ان تنسى وجوده. فقد كلفها اعداد الكثير من الاعمال بدون ان تنسى ذكر الوقت الذي ترى انها قادرة على انجازه.

ومع مرور الايام، بدأت تعرف اموراً كثيرة عن اعمال ريك هاتون. انه يهتم بتربية المواشي. وكانت ترغم نفسها لتنجز العمل في اسرع وقت، لا لارضائه، انما لارضاء كبريائها. غير انها لا تستطيع تفادي الاخطاء دائماً.

ومرة، لم تتمكن من قراءة خط المحاسب، وكان السيد هامتون غائباً، فلم يكن امامها الا ان تقرأ بين السطور. فهي لا تحب ان ترتكب اي خطأ، رغم ان هذا الامر لن يزعج ريك هاتون الذي يصحح الاخطاء بنفسه. وصل داني في الصباح مع مغلف في داخله رسالة صغيرة. احمر وجهها وهي تقرأ: «في المكتب دليل سنوي، يمكنك استخدامه في الحالات الصعبة».

خلال الاوقات الصعبة، كان جيري يوفر لها التشجيع والتسلية والاهتمام. كان يأتي لزيارتها بين الفينة والاخرى، ولم يكن يتكلم كثيراً، لكنها كانت معجبة باهتمامه اللطيف بها وبحرصه على ان يسعدها وعلى ان يجعلها تضع الامور في نصابها الصحيح.

عادت بولا الى المنزل لقضاء عطلة نهاية الاسبوع. تحدثت فقط عن حفلة الغداء في الهواء الطلق التي ستقام في «مزرعة الصخرة»، اي مزرعة ريك هانتون، يوم الاحد المقبل:

«في الواقع سيكون الغداء مقتصراً على شواء اللحوم في الهواء الطلق. المدينة كلها مدعوة، هذه هي عادة ريك».

لم تقل تامي شيئاً. انها تعرف من سيكون منهمكاً جداً في العطلة الاسبوعية.

صباح السبت عادت بولا تتحدث عن الحفلة الراقصة، وسألتها:

«هل ستأتين معنا؟»

اجابت تامي بسرعة:

«لا، شكراً. لدي رسائل عديدة، سأستفيد من هذه العطلة لأكتبها».

تنهدت بولا وقالت:

«مسكين جيري. انه يضحي بلا جدوى».

«ان جيري المسكين لم يجرؤ على ان يرمقني بنظرة عابرة في الحفلة الماضية».

«انك تعتقدين بان ريك صدمك. لكن مثل هذه الامور لا تدوم طويلاً. اراهن على انه نسي كل شيء. ينبغي ان تتحلي بالروح الرياضية، ثم ان الناس سيعتبرون غيابك نوعاً من الهرب».

«دعيهم يفكرون كما يشاؤون. لن اذهب الى الغداء ولن اتخلى عن قراري».

امضت تامي الوقت في كتابة الرسائل. انها لم تكذب على بولا، لقد تأخرت بالفعل في انجاز الرسائل، لأن عملها خلال الاسبوع يأخذ معظم وقتها، وعندما يهبط الليل تفضل النوم باكراً. وتساءلت ما اذا كان من الواجب ان تذكر عنوانها الحالي في رسائلها الى جوناثان، لكنها قررت عدم ذكر العنوان لأنها لا تعرف ماذا يمكن ان يخطر في باله. فهو على استعداد للمجيء كي يراها من دون ان يفكر في الأمر ملياً.

كانت قد اطفأت النور واستعدت للنوم، عندما عادت بولا من السهرة. وتوجهت نحو غرفة تامي التي انتفضت عندما سمعت خطواتها تقترب من السرير. وقالت وهي تتثاءب:

«الا يمكن ان تنتظري حتى الصباح لتخبريني بما حصل؟».

«لقد جرحت شعور ريك مرة اخرى، لأنك لم تحضري السهرة. الجميع سألوا عنك وانتابهم القلق».

«لماذا تضخمون الامور؟ عندما لا اشعر برغبة في الرقص، لا ارقص. هذا كل ما في الامر. الآن ارجوك ان تدعيني انام، وغداً تخبريني كل شيء».

«اردت فقط ان احذرك. سألني ريك اين انت، كما لاحظ غياب جيري. وهذا لم يعجبه، فقد غادر الحفلة باكراً وهو غاضب».

اكتفت تامي بالابتسام وتقوقعت في سريرها. كانت غارقة في سبات عميق عندما تركت بولا الغرفة.

في صباح اليوم التالي، وعندما كان الجميع يتناولون فطور الصباح، استمعت تامي الى موعظة طويلة من بولا. السيد عاشور كان يستمع مبتسماً، اما جيري فكان مقطب الجبين وقال معبراً عن سخطه:

«لا ارى لماذا يدور كل هذا اللغط. لنفترض ان تامي مرضت ولم

تتمكن من الذهاب».

تدخل السيد هاتون في الحديث قائلاً:

«دعيني يا تامي اشرح لك الموضوع. الامر يتعلق بحياتنا الاجتماعية. ريك يصرّ على ان الجميع هنا يشكلون عائلة واحدة وسعيدة. منذ زمن ووالده يقوم بتنظيم مثل هذه الحفلات. وقد صمم ريك على الاحتفاظ بهذا التقليد. والشيء نفسه سيطبق غداً في حفلة العشاء. واذا تغيّب احد بلا عذر، سيعتبر ذلك اهانة. فلا سبب للتوتر والاضطراب. انني اعتقد انه بعدما يفكر في الامر سيدرك انه لا يجوز له محاسبتك على امور تجهلينها».

كانت تامي تتناول قهوتها في هدوء، وعندما تكلم السيد هاتون عن العائلة الواحدة والسعيدة، استغربت الامر بعض الشيء وقطبت حاجبيها. صحيح انها تجهل عادات اسرائيل وتقاليدها. لكن هل من الممكن ان يحل السلام بينها وبين ريك هاتون؟ ستشعر بجرح في كبريائها، لكن يمكنها ان تحاول. انه يريد ان تظهر له الاحترام. فهل هذا ما يجعله متوتراً؟ تنهدت الصعداء ثم وضعت فنجان قهوتها على الطاولة. لن يكون ذلك سهلاً.

عليها ان تتعلم كيف تضبط انفعالاتها. رفعت عينيها وفوجئت بنظرات جيري تراقبها، فابتسمت وقالت:

«لماذا لم تذهب الى الحفلة الراقصة؟ اعتقد ان لديك عذراً».

«لا، ابداً، لم يكن هناك عذر».

احمرّت وجنتاها وقالت في نبرة خفيفة:

«ما دمنا متوجهين معاً، اقترح ان نحتفل معاً بقرار الاعتذار، فهل تساعدني؟».

«من دون شك، يا تامي، ان هذا يسعدني».

في الثالثة ذهب السيد هاتون، ترافقه بولا وتامي وجيري، الى

«مزرعة الصخرة». ارتدت بولا فستاناً من الكتان الابيض، وارتدت تامي فستاناً اخضر.

في الحديقة، بين المدعوين، بقي جيري قرب تامي تنفيذاً للمخطط الذي اتفقا عليه. ولما شاهدت تامي شبح ريك يقترب منها، ضغطت على يد جيري وهمست:

«لقد حان الوقت».

ابتسم جيري وقال:

«تشجعي!».

كان ريك هاتون يرتدي قميصاً بنية وسروالاً غامقاً. بدا لها وكأنه تغيّر. كانت عينا ريك تحدقان في يد تامي الضاغطة على يد جيري، فاقترب ريك منها وقال في لهجة ساخرة:

«تبدين في صحة جيدة. هذا لطف منك لأنك جئت».

اجابت في لهجة هادئة، وقد نسيت انها قررت ان تحقق السلام بينها وبينه:

«لقد اصررنا على المجيء، أليس كذلك، يا جيري؟».

اجاب جيري وهو يبتسم:

«بكل تأكيد».

تطلع ريك الى جيري وقال:

«الرجال في حاجة الى مساعدة لنقل البراميل من المدينة، فما رأيك يا جيري؟».

صمت جيري لحظة ثم اجاب:

«كما تريد».

ثم التفت الى تامي وقال:

«هل في امكانك ان تحافظي على حصتي من الطعام، يا حبيبتي؟ اي القطع فخذ الدجاج».

قال ريك لتامي:

«الديّ شيء اريد ان اطلبه منك».

تناول ذراعها بقسوة وجذبها نحو الجسم. حاولت التخلص منه لكنه كان يضغط عليها بقوة وهو يقول:

«امامك الوقت كله لتشاهدي حبيبك. اما الآن فلدي عمل لك».

دخلا المنزل بعدما ترددت تامي، لكنه حدجها بنظرة قاسية وقال:

«لا تتخيّلي افكاراً سوداء. كل ما اريده منك هو العمل. عندما قلت لك انني لا احب الفتيات التحيلات، كنت اعني ما اقول. فما عليك الا الاسترخاء والاطمئنان والانصياع لما ساطلبه منك».

تنفست تامي في عمق. كان يتكلم بصدق وحرارة الى درجة جعلتها تشعر بالخجل من نفسها.

ادخلها ريك الى غرفة تطل على مؤخرة المنزل. قرب احد الجدران، مكتب عليه آلة كاتبة. اخذها ريك والقاها بعنف على الكرسي الموجود في مواجهة الطاولة وقال:

«عليّ ان ارد على بعض الرسائل. المحاسب لا يزال مريضاً، واذا كنت تستطيعين ان تتجاهلي حبيبك ساعة او ساعتين، فسيكون في امكاني ان ارسلها غداً».

هل هذا ممكن؟».

«هل سعيت للحصول على التوقيع المطلوب في العقد الالزامي؟».

«اي عقد؟».

«عندما يعمل المرء عند رجل آخر، عليه ان يذكر ذلك في العقد. ان السيد هاملتون ليس هنا ليقرر ما اذا كنت ساعمل عندك

ام لا. لا استطيع مباشرة العمل قبل ان ارى توقيعه واناله موافقته على ذلك».

ابتسم ساخراً وقال:

«انا رئيسه، هل تجهلين ذلك؟ ان «مزرعة الحجر» هي ملكي، والسيد هاملتون يعمل عندي. والآن ابدأي بالعمل».

وقبل ان يخرج من المكتب قال:

«اذا كنت في حاجة الى اي شيء، فارجو ان تناديني».

انصبّ غضب تامي على الآلة الكاتبة، فقد كانت تضرب في قوة، الى درجة ان النسخات الكربونية كانت واضحة كالاصلية.

عاد ريك في الوقت الذي كانت تنهي الرسالة الاخيرة وقال:

«هل انتهيت؟».

هزّت رأسها ايجاباً ثم سألته في لهجة جافة:

«هل بامكاني الذهاب الآن؟».

رمقها بنظرة ساخرة وقال:

«لا تخافي. حبيبك لن ينصرف. اريد ان القي نظرة على عملك، فلا اظن انك ستكونين مسرورة اذا اعدتك الى هنا، حين اكتشف خطأ ما. اليس كذلك؟».

اطلقت زفرة عميقة ونظرت اليه وهو يقرأ باهتمام كل رسالة. وضع الرسائل في الدرج وقال:

«العمل جيد».

توجهت تامي نحو الباب فامرها قائلاً:

«اجلسي، ارجوك. كوني صبورة».

هزّت رأسها وانتظرت مستسلمة. اما هو فقد جلس وراء مكتبه واشار الى الكرسي المواجه له، فتقدمت في خطى بطيئة وجلست. قال ريك:

«لماذا تخلفت عن السهرة امس؟».

«الم تقل لك بولا السبب؟ كان علي ان اكتب بعض الرسائل».

«انت هنا منذ اسبوع فقط. الم يكن في وسعك ان تكتبي رسائلك في وقت آخر؟ أم ان السبب هو جيري الذي يشغل كل وقتك؟».

اجابت بعنف:

«لا. وحتى اذا كان جيري هو السبب، فهذا لا يعنيك».

شدّ على معصميه وقال:

«اليست ذاكرتك قوية؟ اظن انني كلمتك بوضوح...».

احمرّت وجنتاها، لأنها عرفت ماذا يقصد.

اضاف بقليل من الرقة:

«يجب انني ان اكرر ما قلت. هنا كل شيء مشترك. وجيري هو تحت حمايتي، فقد عهد به والده الي لأعلمه تربية المواشي. اذا كان لديك اي امل من هذا الجانب فمن الافضل عدم التفكير به. ان عائلته هي من اقدم عائلات كويتلاند وهم اشخاص محترمون. لا اظن انهم يوافقون على ان يتزوج ابنهم من سكرتيرة مجهولة».

نهضت على مهل، فلم تعد قادرة على تحمل المزيد، وقالت:

«هل انهيت حديثك؟ لقد فهمت جيداً ما تقصد. شكراً».

توجهت نحو الباب ومن دون توقف خرجت من المنزل.

احرقت الدموع عينيها. يا له من رجل وقح. انه يكرهها ويحاول تعذيبها. ماذا فعلت كي تستحق هذه المعاملة؟ شعرت فجأة بان يداً تمسك بذراعها، فاذا بها يد ريك الذي قال:

«حقيبة يدك، يا آنسة دانتون».

اجابت من دون ان تنظر اليه:

«شكراً».

وافاها جيري بعد قليل وهي تجلس تحت جذع شجرة بعيدة عن

الآخرين، ولاحظ شحوب وجهها، فسألها في قلق:

«هل انت في حالة جيدة؟».

تمكنت من الابتسام وقالت:

«انه الطقس الحار الذي لم اتعوده بعد».

«سوف تعتادين على الحرّ بسرعة تعالي واجلسي في الظل».

وبعد ان اجلسها في مكان لا تخترقه اشعة الشمس، احضر لها طعاماً. وخيّل لتامي ان الطعام سيخنقها. لكنها حاولت جاهدة الا ترفض. وهنا سمعت صوتاً آمراً يقول:

«جيري، أرجو مساعدتك. انا في حاجة اليك».

٤ – الى مزرعة «الصخرة»

اتصلت تامي هاتفياً بمكتب التوظيفات، نهار الاثنين صباحاً، بعد ان كلفها السيد هامتون بتعديد بعض الأعمال ثم تركها ليقوم بجولته العادية.

أصغى السيد سلبي مدير مكتب التوظيفات، لكل ما قالته تامي في تهذيب:

«اني آسفة اذا كنت اسبب لك المشاكل. لكني لم اكن في حالة جيدة خلال الأيام الماضية. ربما هذا بسبب شدة الحرارة. هل من الممكن ان تحل ميري جونسون مكاني؟ آسفة لاني ساضطر الى ترك السيد هامتون. فليس عندي شيء اتذمر منه».

لم تعد تعرف ما تضيفه. لكن جواب السيد سلبي اراحها.

«عظيم. ميري انهت عملها وهي تبحث عن عمل جديد. ولم تكن تجد شيئاً قريباً من مكان سكنها. ستعجبها الفكرة من دون شك».

تنهدت تامي في ارتياح وسألته:

«ومتى يمكنها ان تحل مكاني؟».

«آوه... دقيقة... اليوم نهار الاثنين... لنقل انها ستكون على استعداد لتحل مكانك يوم الاربعاء. هل هذا يوافقك؟».

«نعم، شكراً جزيلاً، يا سيد سلبي».

«لا تنسي تأمين توقيع على العقد من اجل تأكيد اليوم الذي تتركين فيه العمل».

وضعت سماعة الهاتف وفجأة شعرت بالتوتر. العقد! تذكرت ان السيد هامتون وضع توقيعه على العقد للاسبوع الاول فقط، ويمكنه الآن ان يوقع عقد الصرف. فاحست بالكآبة عندما فكرت بأن لا مفر من اعلامه بالأمر.

ولما عاد السيد هامتون من جولته العادية سألها في لهجة بشوشة كيف تدبرت امورها. وابلغها ارتياحه الشديد لأنه لم يعد يهتم بأمور المكتب تاركاً لها كل المسؤولية. الا ان هذا التصريح لا يسهل خطة تامي لترك العمل.

نظرت اليه وتجنبت الصعداء وقالت:

«يا سيد هامتون...».

لم تستطع التطلع اليه. فجأة جابهت الصعوبات وقالت:

«لقد وجدت من يحل مكاني».

انخفض وراح يحدق فيها باستغراب.

«لكن، كنت اعتقد انك مسرورة من عملك هنا. كنت آمل ان تبقي. ما الذي حدث؟».

ابتسمت له بلطف:

«في ما يتعلق بك، يا سيد هامتون، كل شيء على ما يرام. ارجوك ان تصدقني اني سعيدة ان ابقى هنا، لكن فيما يتعلق بـ . . .».

اختفى صوتها. حدق فيها بنظرة ثاقبة ثم انتقل الى قرب النافذة. وسألها فجأة:

«ريك هو السبب، اليس كذلك؟».

هزت رأسها وقالت:

«هكذا اذن ».

«نعم».

قال وهو يطلق زفرة عميقة:

«كنت اشك في الأمر. عاملك بعنف، اليس كذلك؟ يا له من ابله!».

لم تقل شيئاً. وضع يده على كتفها وقال:

«لاحظنا ما يجري. وليس في وسعنا ان نفعل شيئاً. انه السيد وصاحب الكلمة الأولى. لا تضطري بسبب ذلك. كنت آمل ان تتحسن الأمور. . . لا شك انه وبخك وجرح شعورك يوم امس، اليس كذلك؟».

ظلت صامتة ونظرتها حزينة. هز رأسه وقال:

«توقعت ذلك».

جلس قربها وتابع:

«لا بد انك سمعت عن السيدة هاتون، على ما اظن».

«نعم، لقد هجرت والده، اليس كذلك؟».

اجابها فجأة وهو ينظر اليها:

«نعم. انها انكليزية هي ايضاً. لقد عملت عند والدها في الماضي

واتذكرها جيداً. انت تشبهينها كثيراً. كانت سمراء، قصيرة القامة، عيناها بنيتان. لكن الشبه بينكما موجود ولا شك ان ريك لاحظ ذلك».

لم تعلق تامي على كلامه. ظلت صامتة وعيناها تحدقان في المكتب. اخيراً بدأت تستوضح الأمور.

«كم كان عمر ريك عندما رحلت والدته؟».

«١٤ سنة. وقد تألم كثيراً لفقدها، ولا شك والده يعاني من جراء ذلك. حاولت العودة، لكن كبرياء جاك هاتون كانت حاجزاً، لا يخترقه احد».

فكرت لحظة في هذه القصة ثم ابتسمت وقالت:

«شكراً لانك اخبرتني كل هذه التفاصيل. واني افهم الآن جيداً. وانت تعرف اذن لماذا اريد ان اترك العمل، اليس كذلك؟».

تنهد وهز رأسه قبل ان يصرخ فجأة:

«يا له من ابله! هذا مناف للعقل كيف يتهجم على فتاة لطيفة ورقيقة مثلك. ان اي انسان يمكنه ان يلاحظ انك لست مثل والدته!».

لم يكن في وسع تامي ان تعلق بشيء. اذ ماذا يمكن ان تقول في مثل هذا الظرف؟».

«ايمكنك ان توقع على عقد الصرف، سوف ارحل يوم الاربعاء».

«هكذا اذن، انت في عجلة».

«الفتاة التي ستحل مكاني من دون عمل في الوقت الحاضر ويسرها ان تبدأ العمل في اسرع ما يمكن. انها من كوينزلاند وسيسعدها العمل هنا».

وافق السيد هامتون الى الموافقة وقالت تامي:

«سيد هامتون، هل يمكنك ان تؤدي لي خدمة بسيطة؟ ارجو الا

تخبر السيد هامتون بالأمر الا بعد ان اكون قد غادرت المكان».
تردد قليلاً ونظر اليها بحزن.
«ربما هكذا افضل. كما تريدين».
كانت تامي تشعر بأنها في حاجة الى البكاء. ومع ذلك ابتسمت وشكرته.

في المساء، وبينما كان الجميع يسهرون في الشرفة، تحدث جيري عن السهرة القادمة التي يجب على تامي ان تحضرها. فرمقت السيد هامتون بنظرة قلقة واجابت:
«سترى ذلك في حينه».
ظل السيد هامتون صامتاً.
اطل فجر اليوم التالي صافياً من دون غيوم. وفكرت تامي وهي تنظر الى النافذة بأن ذلك نذير بيوم حار جداً. كانت تصغي الى الاصوات المألوفة الآتية من المطبخ وتسمع غناء امي وهي تعد فطور الصباح وشعرت بالدمع يفر من عينيها وهي تسمع اصوات الحيوانات من بعيد.

انها سعيدة هنا ومشتاقة الى مزرعة «الحجر» رغم انها عاشت فيها فترة قصيرة. وتساءلت ما سوف يكون عملها الجديد وتمنت الا تتعرض لمشاكل اخرى. وبينما هي ترتدي فستانها القطني، تذكرت انه يومها الأخير. في صباح الغد سترحل. قررت ان تعد حقيبتها في المساء كي تكون حاضرة للرحيل في الغد.
ولما وافاها السيد هامتون الى مائدة الفطور، كان حزيناً.
اما جيري فقد انهى فطوره وذهب.
«اليوم هو يومك الأخير في المزرعة. وقد ترغبين القيام بنزهة في المنطقة. يمكنني اصطحابك، اذا اردت...».
وضعت تامي فنجانها على الطاولة. انه يحاول بلطفه ان يعوض ما

فاته من ريك هامتون. فأجابت بابتسام:
«هذا لطف منك، لكن لا سبب لذلك. سيكون ذلك غريباً في نظر الآخرين. لا اريد ان ارتكب اية غلطة في الوقت الحاضر».
تمتم السيد هامتون مرة اخرى:
«يا لها من ابلة!».
وصل ريك عند الظهر، سمعت تامي محرك سيارته وصعدت بسرعة الى غرفتها لتعد حقيبة السفر. كانت ترتجف. يا لها من امرأة جبانة!
سمعت طرقاً على باب غرفتها، فانتفضت وبخفة خبأت حقيبتها تحت السرير وسألت:
«من الطارق؟».
ارتاحت لدى سماعها صوت السيد هامتون الذي قال:
«ارجوك ان تكلمي السيد هاتون».
شعرت بدوار وكادت ان تسقط. هل اطلعه على ما تنوي فعله؟
اجابت:
«حسناً».
مرت امام المكتب وسمعت صوتاً يناديها بلا مبالاة:
«ادخلي يا آنسة داتون. تحدثت مع السيد هامتون».
ارتجفت. يبدو انها لن تتخلص منه.
نظر اليها بقسوة واضاف:
«انني في حاجة الى مساعدتك في مزرعة «الصخرة»، فلن يعود المحاسب الى العمل قبل اسبوعين. وبعد اسبوع سأعطي سلسلة محاضرات وسيأتي لسماعها عدد كبير من المدعوين، معظمهم من ابرز المتخصصين. ولذلك فإني في حاجة الى سكرتيرة. هذا يعني ان عليك ان تعيشي منذ الآن في مزرعة «الصخرة»، وسيأتي دان صباح

غد ليصطحبك. كوني مستعدة في الساعة الحادية عشرة».

توجه نحو الباب في ما كان قلب تامي ينبض بسرعة هائلة. يا لحظها السيء!

قالت بصوت خفيض:

«هل من الممكن ان يأتي بعد الظهر؟».

التفت اليها وحدق فيها تفصيلاً ثم سألها بجفاف:

«لماذا؟».

تنهدت عميقاً ثم اجابت:

«لأن الفتاة التي ستحل مكاني لن تأتي الا بعد الظهر».

تقدم ريك منها ووقف في مواجهتها وراح يتفحصها وهو ما يزال صامتاً، ثم سألها بهدوء:

«من سيحل مكانك؟».

«انها فتاة من كوينزلاند، وهي سكرتيرة قديرة. باستطاعتك ان ترسل داني ليصطحبها بعد الظهر».

اختفى صوتها، اما ريك فظل يحدق فيها ثم قال:

«متى اتخذت هذا القرار؟ الا ينبغي اعلام رب العمل بذلك من قبيل اللياقة والأدب؟».

احمرت وجنتاها وقالت:

«لم اكن انوي ان اغضبك، بل كنت اعتقد بأنك سترتاح عندما اذهب. ينتظرني الآن عمل آخر. كل شيء مخطط مسبقاً، وانني متأكدة من ان الآنسة جونسون ستساعدك في اعمالك اكثر مني بكثير».

تقدمت ومرت بقربه فأخذها بذراعها وادارها نحوه:

«لا أحب ان يهتم الآخرون بشؤوني، وخاصة اذا لم يكن لدي علم بذلك. يمكنك ان تخبري الآنسة جونسون اني لست في حاجة

الى خدماتها. ان لدي سكرتيرة اكتفي بها وراضياً عن اعمالها. هل فهمت؟»

توجه نحو الهاتف ورفع السماعة.

«سأقوم بهذه المهمة بنفسي».

انتظرت تامي بصمت. سمعته يطلب من الاستعلامات رقم مكتب التوظيفات. كان ما يزال ينظر اليها وهو في انتظار المكالمة وفجأة قال:

«اعدي حقيبتك وتعالي معي».

حدقت به في استغراب. لا يمكنه ان يفعل ذلك!

فصرخ بوجهها في صوت ساخر:

«ماذا تنتظرين؟!».

تباطأت وهي تعد حقيبتها. كانت تأمل من السيد سلبي ان يخبره انها لا تستطيع تحمل الطقس الحار وينصحه بالاتفاق مع الآنسة جونسون. بقيت في غرفتها وهي تأمل ان يعود ريك وحده الى مزرعة «الصخرة».

وعندما سمعت طرقاً على الباب ادركت انها لم تربح المعركة:

«ليس لدي وقت اضيعه سدى. هل انت جاهزة؟».

وبينما كانت تامي تتوجه نحو سيارة ريك، جاء السيد هاملتون. كان يبدو قلقاً لنتيجة اللقاء بين ريك وتامي. وفهمت من تعبير وجه السيد هاملتون انه غاضب على ريك الذي صعد الى السيارة. فاقتربت تامي منه ووضعت يدها على ذراعه. وقالت هامسة:

«سأبقى هنا فقط اسبوعاً او اسبوعين، ثم اعود البلدة».

القى اليها نظرة ثانية وربت على ذراعها مؤاسياً. فقبلت على خديها وصعدت الى السيارة.

٥ - لا خلاص

وفي الأيام اللاحقة كانت تامي منهمكة في اعمالها. فلم يتسن لها الوقت للتفكير في وضعها الصعب. كان مكتبها يقع في نهاية المزرعة، بعيداً عن وسط المنزل. اذا كان ريك هاتون في حاجة الى خدماتها، فلا يطلب منها أي علاقة اخرى خارج العمل.

كانت غرفتها تقع قرب غرفة الوصيفة الاسكتلندية التي كانت تتناول وجبات الطعام الثلاث معها. انها امرأة قاسية اسمها السيدة موريس، لم تقل اليها تامي منذ المرة الأولى التي شاهدتها فيها. شعرها الرمادي مرفوع بكعكة، ووجهها القاسي ينم عن النفور. غير ان تامي لاحظت ان المظاهر الخارجية ربما تكون خادعة. وسرعان ما اظهرت عندها الروح المرحة والآفاق الواسعة في التفكير مما

جعلها تستلطفها.

لم تكن ترى ريك هاتون الا في ساعات العمل، لكنه كان دائماً يشعرها بوجوده المتواصل. انه رب عمل دقيق متطلب ومبالغ في الدقة. وذلك يجعلها تشعر بالقلق وبعض الانزعاج كلما ارتكبت غلطة بسيطة، كما كانت تطلق زفرة ارتياح عندما يتركها بعدما يكون قد اعطاها الأوامر كي تنفذها. هكذا هي المرأة العاشقة للخضوع!

كان مكتب تامي صغيراً ومضيئاً. يحتوي على طاولة وكرسي ورفوف. وذات صباح افاقت وراحت تعد الأيام المتبقية لها للانتهاء من عملها في مزرعة «الصخرة».. بقي خمسة ايام. ان املها الوحيد هو العودة في القريب وقت ممكن الى العمل عند السيد هامتون في مزرعة «الحجر».

وذات صباح كانت تنظر الى مفكرتها الصغيرة عندما دخل ريك هاتون الى المكتب. قطب حاجبيه وهو يراها مستغرقة في افكارها. رفعت تامي عينيها، واخفت المفكرة.

لم يكن يبدو عليه انه في عجلة ليتركها وحدها. وكالعادة لم يتصرف تجاهها بلطف ورقة. انما كان شديد التوتر وسريع الانفعال. عرفت تامي انه استضاف مساء امس امرأة شابة على العشاء. ذلك ما اخبرتها به السيدة موريس. ووصفتها لها بالتفصيل قائلة بالحرف الواحد: «امرأة شقراء مكتنزة».

ثم هزت رأسها وصمتت:

«اعتقد بأن الوقت حان ليستقر».

فسألتها تامي في لهجة ساخرة:

«اية امرأة تستطيع ان تستدرجه؟».

«على العكس تماماً. انه رجل غني ووسيم وانيق... واعتقد انه

يتمتع ايضاً بما يسمونه في ايامنا «الجاذبية الحسية».

«يا سيدة موريس!».

انفجرت الوصيفة في الضحك، وقالت:

«انت محافظة اكثر مني!».

كانت تامي تنتظر بفارغ صبر ان يترك ريك المكتب. انه يعرف رغبتها هذه وهو يفتعل التأخير فقط من اجل ازعاجها. انه يجد لذة في تعذيبها.

قال لها بلامبالاة:

«لماذا جئت الى هنا؟ لتجربي حظك؟ لتجدي زوجاً ثرياً؟ اليس لديك حبيب ينتظرك هناك في انكلترا؟ او انك تركت رجلك المسكين فريسة الضجر؟».

انه يتعمد اهانتها. ولم تعرف لماذا فكرت بجوناثان. لا احد يشبه هذا الرجل المسكين الا هو. ورمقت ريك بنظرة مليئة بالحقد، ثم قالت:

«في الحقيقة، هناك رجلان. وانت تعرف ما يعني ذلك. الانسان يتردد بين الثراء او الحب والحياة البوهيمية. والآن بعد ان هدمت كل خطة كانت لدي في ما يتعلق بجيري، فعلي اذن ان افكر. للأسف! كنت فعلاً قد اصبحت اميل اليه. آه، هنالك طرائد اخرى، مثل اصحاب المزارع الاغنياء... لقد سمعت بوجود رجل عجوز يعيش في شمال غرب البلاد ويبدو انه ثري كبير. وهو في حاجة الى وصيفة».

انتفض ريك:

«كفى! لقد اصبت في حكمي عليك منذ البداية. هل تعتقدين باني سأتركك لك مجال اصطياد اي رجل، مسكين، كما حدث لوالدي!».

ادار لها ظهره مستعداً للخروج. فراحت تقهقه في صوت عال وقالت:

«احترم الرجل الحازم. ولكنك مع الأسف لست اسمر اللون. اني لا اميل الى الشقر».

التفت نحوها وحدق فيها بنظرته البراقة. ثم اقترب منها، فلم تتحرك. توقف للحال وادركت انه يقاوم ليبقى مسيطراً على نفسه. ثم خرج بسرعة من الغرفة.

كادت ان تنفجر ضحكاً. للمرة الاولى، انتصرت عليه، وبالتالي شعرت باحساس لذيذ وهي ليست نادمة او انها تظن انها كذلك وتقضي في غيابها!

وفي المساء وبينما كانت تتناول طعام العشاء مع السيدة موريس ادركت انها ليلتها الأخيرة في مزرعة «الصخرة»، ستغادرها صباح الغد بعدما تنتهي اجازة المحاسب الرسمية. ابلغت الوصيفة بالأمر، فراحت الاخيرة تنظر اليها باستياء.

«هل كنت حانقة عليه في الصباح؟».

ضحكت تامي وهزت رأسها ايجاباً. فبدا على السيدة موريس الانزعاج:

«احترسي، يا تامي. حذار! انه رجل يتصرف كما يحلو له ويفعل ما يجول في خاطره. تذكري ذلك جيداً».

في صباح اليوم التالي كانت تامي قد اعدت حقيبتها ووضعتها في الغرفة الصغيرة ثم توجهت الى المكتب.

وعندما وصل ريك في التاسعة والنصف والقى نظرة سريعة الى حقيبتها، نظر الى تامي وسألها بهدوء:

«هل انت ذاهبة الى مكان معين. اخشى ان تصابي بخيبة امل... سوف تضطرين الى اعادة افراغ الحقيبة. بعدما اكون قد

تكلمت معك لفترة قصيرة».

بحث عن سيكارة في جيبه واشعلها. ظل صامتاً يتابع بنظره دخان السيكارة المشتعلة. وكانت تامي ترمقه بنظرات حذرة، ملاحظة تقلص شفتيه وتوتر معصميه. قال:

«لقد افصحت لي عن احلامك. ما كان ينبغي ان تفعلي هذا. ان زكفك وراء الكنز الذهبي... في هذه القارة على الأقل. سوف احتفظ بك. لقد دبرت الأمر مع مكتب التوظيف. سوف تبقين هنا خلال مدة اقامتك في استراليا».

تفرست فيه مستغربة وقالت:

«في هذا الحال، سوف افسخ العقد».

«واذا فعلت ذلك فسوف اقيم دعوى ضد مكتب التوظيف».

لمحت في وجهه تعبيراً يدل على انه سينفذ ما يقوله.

فكرت بالأمر ملياً. لقد وقعت حقاً على عقد لسنتين، وهناك شروط في العقد يجب احترامها. في كل حال لا جدوى من محاولة ثنيه عن عزمه

تابع كلامه وقال:

«قرأت العقد بدقة. ليس ثمة طريقة للانسحاب بدون ان تورطي مكتب التوظيف واجبار الموظفين فيه، على الذهاب الى المحكمة. لا يمكنك ان تفسخي العقد الا بطريقة واحدة وهي الزواج. وهذه الفرصة خاسرة لأنك لم تخططي لها. واني سأفعل المستحيل كي لا تتوصلي اليها».

قال هذا وخرج. وبقيت تامي للحظات مذعورة. لا يمكنه ان يتصرف هكذا. انه يكذب. وفجأة رن الهاتف. تناولت السماعة وسمعت صوت ريك هاتون:

«السيد سيلبي يريد ان يكلمك».

قالت بصوت مرتجف:

«سيد سيلبي؟»

«صباح الخير، آنسة داتون. انا مسرور منك».

«صحيح؟».

«آه.. نعم. انتهى العقد الأول الذي وقعت عليه. لا شك في ان السيد ريك هاتون مسرور من عملك. فقد وقع على العقد النهائي الذي يلزمك بالعمل معه طيلة مدة اقامتك هنا. ويبدو لي ان لديه مشاريع اخرى بعد ذلك».

شعرت تامي بالضيق وتمتمت:

«نعم... ياسيد سيلبي، هل حصلت على توقيع الأساسي؟»

«طبعاً. وامامي الحوالة المصرفية. واستطيع ان اقول ان معاملته ممتازة. سيدفع لك راتباً هو اكثر بكثير مما اتفقنا عليه. ولذلك اطلب منك ان تشكريه على حسن معاملته. لا ترددي في الاتصال بي عند الحاجة. ان مكتب التوظيف يشكر لك بادرتك النبيلة».

كانت تامي لا تزال ممسكة بالسماعة عندما سمعت صوتاً عذباً يسأل:

«هل انت راضية، يا آنسة داتون؟».

مزقت تامي الفكرة. فهي تريد ان تنسى الأشهر الطويلة الممتدة امامها. انها لا تستطيع ان تصدق كيف يمكن ان يستمر في اصراره بعد كل هذا الذي حدث؟!

وفي العشاء كانت السيدة موريس ترمقها بين حين وآخر بنظرات سريعة. بعد العشاء ذهبت تامي في جولة بين الحدائق بغية التنزه وعدم التفكير في مصيرها.

كان النسيم مليئاً بأريج عطر الغار الوردي بينما هي تتنزه قرب الشجيرات المليئة بالزهور. رفعت عينيها الى السماء. النجوم اكبر

بكثير من النجوم التي كانت تراها في انكلترا. انها تلمع في السماء الزرقاء. السلام يحل في كل مكان حولها، ما عدا في افكارها. لقد تخلصت من سيطرة جوناثان لتقع في فخ آخر. سمعت صهيل حصان. هل ثمة من يمتطيه؟ ربما يكون ريك هاتون بالذات. وهنا قررت العودة بسرعة الى المنزل. فهي لا تريد ان تلتقيه.

يوم الاثنين، علمت تامي ان ريك هاتون سيستقبل بعض اهل العمل في المساء وانها ستكون المضيفة. فوجئت بهذا الدور، لكن ريك رمقها بنظرة ساخرة قائلاً:

«سوف تقدمين المشروب وتحاولين ان تلبي الخدمات المطلوبة منك. ربما احتجنا الى مساعدتك لكونك سكرتيرة. واصرّ على تذكيرك بأن السهرة هي سهرة عمل ولا مجال لأغراء احد من الضيوف. اعرف ان ذلك سيكون صعباً عليك... ولا سيما ان بين الحاضرين ثلاثة رجال من اكبر الاغنياء واصحاب المزارع الكبيرة».

لا جدوى من الرد عليه. وامام صمتها ابتسم ريك وابتعد. قالت تامي لنفسها وهي تعد نفسها للسهرة: «لست هنا لأغراء احد»!

نظرت الى نفسها في المرآة وشاهدت فتاة نحيلة. اهي حقاً كذلك. كان جوناثان شغوفاً بنحافتها.

قطبت حاجبيها، اي ثوب يجب ان ترتدي. انها لا تملك الكثير. لكن اصابعها وقعت على فستان سهرة نصحتها بشرائه صديقتها ميري جونسون التي قالت لها بأن كل فتاة يجب ان تملك فستان سهرة مناسباً للمناسبات الكبيرة.

تناولت تامي الفستان بعدما اخرجته من الخزانة وراحت تتأمله وتصورت انزعاج ريك هاتون ان هو رآها ترتدي مثل هذا النوع من الملابس. انه فستان طويل، اخضر اللون ومطرز بالخيوط الذهبية، ضيق يظهر نحافة جسمها. قررت ارتداءه فوضعته على السرير وراحت تسرح شعرها رافعة اياه الى قمة رأسها، على الطريقة اليونانية كما وضعت ربطة ذهبية في الكعكة. ثم ارتدت فستانها وارتجفت وهي تتأمل نفسها في المرآة: كم ستكون المفاجأة عظيمة بالنسبة الى ريك، هذا الانسان الذي يصعب اكتشافه!

ثم همست:

«اذا ارتديت هذا الفستان في الليلة الاولى، فلن يطلب مني ان اكون موجودة في السهرات اللاحقة».

شعرت بارتخاء في قدميها وهي تدخل قاعة الاستقبال. نظرة سريعة الى ريك كانت كافية لمعرفة ردة فعله. تقلصت شفتاه ونظر اليها ببرودة. وتفحصها من رأسها حتى قدميها من دون ان يفوته اي تفصيل. احمرت خجلاً لكنها قاومت انفعالها. كان عدد الحاضرين خمسة عشر شخصاً يرتدون ثياباً انيقة. القمصان البيضاء وبذلات السموكينغ. توقفت الأحاديث فجأة عندما دخلت تامي، فشعرت بالانزعاج لأن الجميع كانوا يحدجونها بنظراتهم المستغربة. تمنت لو ان الأرض ابتلعتها في تلك اللحظة.

تقدم منها ريك هاتون وقدمها الى اصدقائه:

«انها سكرتيرتي، الآنسة واتسون».

ثم التفت اليها وقال:

«ما بالك، ابدأي. الكؤوس موجودة هناك».

انها لم تتعود على امور من هذا النوع. لا تعرف كيف تكون اصول الضيافة. لكن، لا خيار لها. احد المدعوين ويدعى نيد كاسل اقترح ان تقوم بدورة امام كل مدعو فتسأله ماذا يجب ان يشرب. شكرته وعملت بنصيحته. لكن اصدقاء ريك، كانوا يستوقفونها ويطرحون عليها اسئلة باهتمام وفضول لما ان كونها انكليزية، يضيف عليها

اغراء وجاذبية. كانت تشعر بنظرات ريك التي لم تتوقف لحظة عن التحديق بها.

شعرت تامي بأن رجلاً ممشوق القامة، لوحت بشرته الشمس، كان يعبر لها عن اهتمامه بصورة واضحة، يتبعها بنظراته كيفما تحركت، اما هي فلم يعجبها تعبير وجهه ولا لهجته الجنوبية الجديدة الحادة. وتأكدت انه احد الأغنياء من اصحاب المزارع الكبيرة التي ذكرها ريك في حديث سابق معها. ومن دون ان تظهر ذلك، حاولت الا تعيره اي انتباه.

وبرغم مكوثها بعيدة عن الجميع سمعت ما كان يدور من احاديث حول التنقيب عن المياه في باطن الأرض وسواها من الأعمال. وفجأة اقترب منها الرجل ذو اللكنة الجنوبية وقال:

«اسمي دان ايفرلي. وانت؟».

«آنسة دانتون».

هز حاجبيه قليلاً وقال:

«هل يمكن ان نكون صديقين، ام انك صديقة ريك؟».

احمرت وجنتاها لأنها لم تكن تدري ماذا يعني بسؤاله. وقالت:

«اني سكرتيرته، لا اكثر ولا اقل».

ضحك هازئاً:

«كم يدفع لك لقاء خدماتك؟».

«ماذا تريد ان تشرب، يا سيد ايفرلي».

اقترب منها واجاب:

«ما ارغبه ليس الشراب».

تملصت وهي تراه يضع ذراعه حول خصرها، وهنا حضر السيد هاتون وقال:

«هل قدمت لك آنسة دانتون ما تريده».

ثم سحب دان ايفرلي ذراعه عن خصر تامي:

«ارى انني بحاجة الى سكرتيرة، يا ريك».

ثم وجه حديثه الى تامي:

«مهما كان معاشك هنا، يا آنسة دانتون، فانني اعرض عليك اضعاف ذلك».

قال ريك:

«لا مجال للبحث في هذا الأمر. عليك ان تعرف انني لا اتقاسم صديقاتي مع احد».

تملصت... فمهما كانت شتائم ريك، هذه الشتيمة هي الاسوأ! رفعت ذقنها غضباً والتقت بنظرات ريك الساخرة. فشعرت بالاحمرار يجلل وجهها.

سحب دان ذراعه وقال:

«تذكري اسمي، يا صغيرتي. فانا جاهز اذا اردت ذات يوم تغيير عملك!».

شعرت تامي بالنفور وابتعدت عن الرجلين. ناداها ريك هاتون بلهجة حاسمة، لكنها لم ترد!

مسكينة هي، تخاف ان تتحرر من العبودية. ولا شيء آخر. كانت غاضبة حتى الجنون عندما وصلت الى غرفتها. اخرجت حقيبتها وراحت تلقي فيها كل حوائجها واختلط الحابل بالنابل.

فجأة سمعت طرقاً على الباب. تساءلت ببرود وهي تعرف جيداً من هو الطارق:

«من الطارق؟».

القت بنظرة خاطفة نحو الباب. هل هناك مفتاح؟ ربما احتاجت الى اقفال باب غرفتها. لكن للأسف، لم تجد اي مفتاح داخل

القفل.

سمعت صوتاً من الخارج يقول:

«هل تخرجين، أو انك تريدين ان ادخل؟».

«انا نائمة وامنعك من الدخول. لست مستعدة لاستقبال احد».

«حسناً. ارتدي ثيابك وتعالي الى المكتب. هل سمعت؟ امامك خمس دقائق فقط».

راح قلب تامي ينبض بسرعة. كان في امكانها ان تجد ملجأ في غرفة السيدة موريس، لو لم تكن تعرف ان الوصيفة تتناول كل مساء حبوباً منومة كي تستطيع ان تنام. رفعت ذقنها، فهي لا تخاف هذا الرجل الفظ. عليها ان تذهب وتنهي الامر معه، فلن تدعه يتهرب مما حدث بعدما اهانها امام الجميع.

تباطأت لكنها وصلت اخيراً. كان جالساً قرب المكتب:

«اغلقي الباب، لا اريد ان يسمع احد ما انوي قوله».

«لم لا؟ الجميع سيعرفون بالامر، عاجلاً ام آجلاً. ربما يحدث ذلك للمرة الاولى في حياتك، اذ ان احدى صديقاتك قررت ان تهجرك نهائياً. لقد تحملت ما فيه الكفاية ولم اعد قادرة على تحمل المزيد. ساعود الى المدينة غداً صباحاً حتى وان اضطررت الى قطع المسافة سيراً على القدمين».

«هل انهيت حديثك؟».

«نعم، شكراً».

«حسناً. الآن اصغي اليّ: لقد سمعت مسبقاً بما حدث منذ قليل. بماذا كنت تفكرين؟ انهم رجال ناضجون وليسوا مراهقين، لكن بعدما سأقوله الآن، لن يزعجك احد بعد اليوم. الجميع يعرفون انك ملكي ولم يتقدم احد منهم باية عروض. هل فهمت؟».

«نعم، فهمت».

ارادت التخلص منه، لكنه تمسك بذراعها واضاف:

«ارجو ان تفكري ملياً قبل الرحيل. ملاحقة مكتب التوظيف امام العدالة ليست سوى البداية. فسأطلب من كل الصحف الاسترالية ان تنشر اسمك في الصفحة الاولى، وهذا بالنسبة الي سهل لانني ذو نفوذ وسطوة. كما يمكنني ان افضح علاقتنا في حديث صحفي او في مقابلة تلفزيونية، ومن يجرؤ على تكذيبي؟ كلمتي هي التي ستنتصر».

غمضت عينيها، فسألها:

«بماذا تفكرين؟».

همست قائلة:

«هل تعرف ماذا تفعل بي؟ انك تعاقبني على ما حصل لك في الماضي البعيد. اليس هذا صحيحاً؟».

هز كتفيه وقال:

«ربما، لكنك اظهرت لي حقيقتك، وانا لست نادماً على شيء. استغربت تصرفك في السهرة، ربما اردت الا يكتشف الآخرون على حقيقتك».

مال عليها فتراجعت الى الوراء. انها تكرهه، ومن السهل معرفة ذلك عبر نظراتها. ضحك ريك وجذبها نحوه وقال:

«عندما تكونين على حقيقتك، اشعر بالعجز عن مقاومة اغرائك».

امسك ذقنها ورفع رأسها واسندها الى الباب، فراحت تتخبط بعنف، من دون جدوى. ثم عانقها بشدة مداعباً رقبتها وكتفيها. وتمتم قائلاً:

«هل تعرفين؟ ربما يأتي ذلك اليوم الذي احب فيه ما يحدث الآن».

انفجر ضاحكاً وهو يشعر برعشتها لم تدعها عنه فجأة:
وسبق ان قلت لك اني ما احببت يوماً امرأة نحيلة مثلك. وها اني اكرر ذلك الآن. فعودي الى النوم ايتها المكابرة الصغيرة.

٦- يا لها من غبية!

عادت تامي الى غرفتها وهي في ذهول وذعر. استندت الى الباب وهزت رأسها. لا يمكن ان يحدث ما حدث! توجهت في بطء نحو سريرها وجلست. انها لا تزال تشعر بضغط ذراعيه حول عنقها. يا لها من امرأة حمقاء! كان ربك على حق عندما قال لها انها هي المسؤولة عما حصل. ارادت ان تتحداه، لكنها وصلت الى ما هي عليه الآن؟

خلعت ملابسها، واقسمت الا ترتدي هذا الثوب مرة اخرى. ربما ينتظر منها ان تحضر اجتماعات اخرى. سوف ترتدي فستانها الرمادي، البسيط، ذا الاكمام الطويلة والقبة العالية. وهكذا تمضي سهرة اخرى كهذه.

فكرت بتهديدات ريك وغرابتها. لكن ذلك لم يمنعها من الخوف بعض الشيء. في نظر الآخرين هو رجل متزن، محترم وقدير. انه لن يتراجع عن تهديداته، فهي مقتنعة بذلك. وليس من نوع الرجال الذين يلفظون تهديداتهم سدى. وقد تحتاج الى مساعدة السيد هامتون.

في اي وضع هي الآن؟ قررت مراقبة كل خطوة تقوم بها حتى تدعه يصدق انه نجح تماماً في السيطرة عليها واخضاعها. ربما تتمكن من التخلص منه. وهكذا تتحرر من سطوته الى الابد. فهي لا تنوي تمضية العمر معه!

اكتفت تامي بفنجان قهوة وهي تشارك كالعادة السيدة موريس في تناول فطور الصباح. وكانت السيدة موريس منهمكة في اعداد الحلوى للسهرة فلم تكترث لخروج تامي. وفي التاسعة توجهت تامي الى مكتبها لتوضيبه وتمسح الغبار عنه. ثم حاولت فتح نافذتها المغلقة منذ يومين. فقد نسيت ان تعلم السيدة موريس بالامر. ظلت تحاول فتحها بكل قوتها، الى ان شعرت بذراع ترتطم بذراعها ويد تدفع النافذة فتنفتح للحال.

التفتت ورأت ريك هامتون. كان يرتدي بذلة رمادية داكنة وقميصاً وردية وربطة عنق رمادية بلون الفولاذ. كانها متناسقة كما تعوّدت ان تراه وتتجاهله. لاحظ نظرة الاعجاب لدى تامي، لكنه فهم انها امرأة عادية كسواها. انها امرأة ضعيفة، سخيفة، تخفي طموحها ولا تعترف.

«سوف تغيب لمدة ثلاث ساعات. ستجدين لوائح قديمة داخل خزانة الملفات. ارجو ان تبدليها بلوائح جديدة. وهذا سيشغلك بعض الوقت. ومتى انتهيت ولم يعد لديك شيء تفعلينه، يمكنك مساعدة السيدة موريس. ولدى عودتي لدي اعمال كثيرة

لك».

وودعها وخرج لتوه.

جاء داني ليصلح النافذة. وبعد ان القى نظرة سريعة وجد انه يجب نشر الخشب لأن الحرارة افسدته. قال لتامي وهو يبتسم:

«يبدو انك نلت الوظيفة التي تطمحين اليها؟».

صمتت تامي لانها كعادتها لم تفهم:

فاضاف بسخرية:

«هل تظنين انك الفتاة الوحيدة التي لم يسحرها ريك هاتون؟».

اجابت وهي تفتح الملف بعنف

«مهما قلت فلن تصدقني».

«يبدو انه قبض عليك بالجرم المشهود، ومع ذلك فانك لا تعتقدين! غريب امرك ايتها الاميرة!».

بقيت فاغرة الفم. وبدأ داني ينشر خشب النافذة بمنشار صغير ويقول:

«اراهن انك في خلال ثلاثة اشهر ستسقطين في حباله وتنسين الحقيقة، وستركعين لتقبيل يده. المرأة دائماً هكذا. لا تعرف الحقيقة الا متأخرة».

«لا! بل سوف اعض يده ان هي امتدت اليّ!».

«تقولين ذلك لانك غاضبة منه اليس كذلك؟».

ازعجها الحديث لانها لم تعد تدرك اين هي الحقيقة. وبكت وتمنت انها يجب الا تبكي او تفهم او تدرك، وان كل شيء موقت لسمعته يقول:

«آه، ان هذا ما يشغل بال السيد هامتون. انه يسألني دائماً عن

اخبارك».

ثم رفع قبعته واضاف:

«كم انا ابله! تأخرت قبل ان افهم الحقيقة، اليس كذلك؟».

لم ترد. فهي منذ ان كانت لا تعرف ما اذا كانت الحقيقة حقيقة ام لا؟ وسمعته يقول:

«اعتقد ان ريك وقع في غرامك. وريك هاتون لا يمكنه ان يؤذي احداً».

وراحت تامي تدافع عن صديقها الوحيد وقالت:

«ان حس المراقبة لديه اقوى من اي انسان آخر».

رمى داني المنشار، ثم قبعته وقال:

«لا يعني انه يريد ان يؤذيك، اذا كان يغيّره بكلام سادج، او اذا كان غليظاً وفظاً معك».

كان في امكان تامي ان ترده لكنها فضلت السكوت.

اضاف داني:

«سمعت بعض الاشاعات، لكني لم اكترث لها. قيل انه يحقد عليك لأنك انكليزية».

حدقت تامي فيه وقالت في صوت مليء بالمرارة:

«هذا صحيح. لا اعرف بالضبط ما حدث في الماضي. لكني اعتقد ان ذلك كان له تأثير عليه مما ادى الى تعطيل عقله وخاصة فيما يتعلق بالمرأة الانكليزية».

صرخ داني قائلاً:

«انك لم تتيحي له فرصة للتفكير ملياً بالوضع!».

«صحيح! ولكن هل يتيح هو لي الفرصة؟».

هزّ داني رأسه وقال:

«انت وريك، تشبهان ديكين يتشاجران. وفيما يتعلق بوالدته،

فان اي فتى في سنه لا يتأثر باحداث الماضي. كان يحب والدته حتى والدته ماتت عندما كان صغيراً. وتزوج جاك هاتون مرة ثانية، عندما كان ريك في الثامنة من عمره. وزوجته الثانية لم تكن تهتم بريك ولا بأحد، الا بنفسها فقط. والمزرعة لم تكن كما هي عليه اليوم. كانت الامور اصعب في تلك المرحلة. كانت انكليزية ولا اذكر كيف تعرّف اليها جاك هاتون. لكن، بعد مرور شهر واحد على معرفته بها، تزوجها. لم تكن تعرف شيئاً عن الحياة، وكانت تعتقد بانها حققت زواجاً رفيعاً. ولا شك انها اصيبت بصدمة عندما وصلت الى ادلايد. كانت تسعى للحصول على حياة سهلة، زاخرة بكل ما هو جميل. وفوق ذلك، كانت آية في الجمال».

نظر الى تامي بحزن ثم اضاف:

«اعتقد انك تشبهينها. كان والد ريك قد وقع في غرامها حتى الجنون. واعتقد انه ربما مع الوقت توصل الى السيطرة عليها، لولا ان جاء ذلك الرجل الغني. ولما عرفت انه من عائلة ثرية، تعلقت به وهربت معه تاركة جاك وريك وحيدين».

هزّ رأسه وسكت. ثم اضاف:

«انهار جاك هاتون بعد هذه الصدمة العنيفة. وحاول ريك مساعدته، لكنه كان ما زال فتياً ومع ذلك عمل ما بوسعه. ولكن يحزنني ان اروي ذلك. فلجأ والده الى الشراب. وبسرعة اصبح ريك شخصاً من دون ان يعيش مراهقته كما يجب».

نظر الى تامي في حزن واضاف:

«يبدو لي ان هذا الحادث اثر فيه عصبياً، وانا اعتقد بان الحادث استطاع قلبه ايضاً».

نهضت تامي وحدقت في الجدار من دون ان تراه. وتساءلت ما اذا كان ريك هاتون سيشفى من هذا الجرح العميق. في كل حال لن

يتحقق ذلك ما دامت هي هنا.

ثم نظرت الى داني وقالت له بلطف:

«شكراً. اني افهم الآن الامور بطريقة افضل».

في ذلك المساء، ارتدت تامي فستاناً بسيطاً وقامت بجولة حول المدعوين تقدم لهم المآكل والمشروبات. وكلما توقفت مطولاً مع احد المدعوين، كان ريك هاتون يسارع الى موافاتها.

وبرغم تحفظ تامي، اخذ شاب من المدعوين يحوم حولها.

كانت تقدم لاحد المدعوين عندما القت نظرة نحوه وفوجئت به يحدق فيها. فابتسم لها وردت عليه بابتسامة من دون ان تعي ما فعلته. واذا بريك يسارع اليها ليأخذها من خصرها.

فصرخت فيه موبخة:

«افزعتني!».

همس باذنها قائلاً:

«اردت ان انقذك من ورطة، يا صغيرتي!؟».

وفهمت انه غاضب لأنها ابتسمت للشاب.

لم يخطر في بالها ان الوضع سيتأزم اكثر مما هو عليه. لكن هذا ما حصل في مساء اليوم التالي.

كانت السهرة قد بدأت منذ فترة غير قصيرة، عندما وصل احد المدعوين متأخراً. وشعرت تامي بانه ينظر اليها في امعان، لكن ذلك لم يزعجها. فقد اعتادت هذه النظرات التي تتوجه اليها متفحصة.

ولما شكرها عندما قدمت له المشروب، لاحظت بان لهجته انكليزية. وفجأة، رفع اصبعه وصرخ قائلاً:

«لقد عرفتك!».

انتفضت. كان ينظر اليها مبتسماً.

«وهذا ما كان يجري منذ وصولي».

هزّت حاجبيها. فهي لا تعرفه ابداً ولم يسبق لها ان رأته من قبل.

فقال في نفحة انتصار:

«خطيبة جوناثان درول».

شعرت وكأنها مصابة بالاغماء. يجب الاسراع في انهاء التحدث اليه قبل ان يقترب منها ريك هاتون.

سألته تامي للحال:

«كيف حاله؟».

«الا تعرفين شيئاً عن اخباره؟ انا ادعى نيك بولتن. هل تتذكرينني؟ كنت اقوم ببعض الاعمال مع جوناثان، من حين الى آخر. التقيتك العام الماضي في احدى السهرات، في فندق سافوي».

احست تامي بنظرات ريك هاتون تحدق فيها. فاجابته بسرعة:

«في الايام الاخيرة، لم اسمع عنه شيئاً. هل ترغب في شيء آخر، يا سيد بولتن؟».

لم تتأخر في التكهن بقربه. ما هي درجة الصداقة بين جوناثان ونيك بولتن؟ اذا عرف جوناثان ما يجري هنا، لكان اصرّ على الزواج بحجة انه لم يعد قادراً على ان يعيش وحده. عضت على شفتيها. كان هناك حظ ضئيل جداً ان يأتي احد اصدقاء جوناثان الى مزرعة «الصخرة»، وقد حصل ذلك.

وفي نهاية السهرة، حضر السيد بولتن من جديد ليحدث تامي. كان يأمل ان يراها مرة ثانية قبل مغادرته استراليا. انه عائد الى انكلترا يوم الاحد المقبل. كانت تامي على احرّ من الجمر. كانت تخشى ان يسألها اذا كانت تنوي كتابة رسالة الى جوناثان، لانها

شعرت بوجود ريك قريباً جداً منها. لا شك انه سمع السيد بولش يعبّر عن رغبته في رؤيتها مرة ثانية، وان تامي اجابته بانها تأمل في ان يتحقق هذا اللقاء.

رافق ريك السيد بولش الى الباب لأنه يريد ان يحصل منه على بعض المعلومات. وبعد قليل عندما كانت تامي تستعد للعودة الى غرفتها، اوقفها ريك وقال لها:

«اريد ان اتحدث اليك قليلاً».

التفتت نحوه وقالت:

«انا متعبة جداً. الا يمكن الانتظار حتى الغد لتحدثني؟».

اشار اليها بيده نحو باب المكتب. فاطلقت زفرة وعادت الى الوراء ودخلت المكتب.

اغلق الباب وراءه وتفرّس فيها. وسألها في لهجة قاسية:

«من هو جوناثان ترو؟».

انقبضت ثم غرزت اظافرها في راحة يدها.

«اذن. اجبني».

اجابت بارتباك:

«انه رجل عرفته في الماضي».

«عرفت ذلك. كيف تعرفت اليه؟».

اجابته في لهجة مليئة بالملل:

«هذا امر شخصي!».

توجّه نحوها ببطء وقال:

«هل يجب ان اهزّك دائماً حتى تتكلمي؟ اريد ان اعرف كل شيء. اتريدين مني ان افرض عليك العقاب نفسه كما حدث مساء امس؟».

جذبها نحوه بقوة، فاسرعت تقول:

«سأقول لك كل شيء!».

انفجر ضاحكاً ثم دفعها عنه. من اين لها ان تبدأ؟

«كان... كان يريد ان يتزوجني. هذا كل شيء».

«آه! لا! ليس هذا كل شيء! اعرف انك كنت مخطوبة وانك فسخت الخطبة. من كان هذا المسكين؟ الغني ام الفقير؟».

«هذا لا يعنيك».

اقترب بسرعة منها وقال:

«انك لا تفهمين».

تراجعت الى الوراء واصطدمت بالكرسي، ثم تركت نفسها تجلس عليه. ثم قالت:

«حسناً، اذا كان هذا ما تريد، انه الغني!».

ماذا جرى؟ هل هو متقدم في العمر؟ هل فهمت فجأة ماذا يعني الزواج لك؟ لا شك انه رجل منفر وكريه ولذا تخليت عن ثروته».

في الوقت الحاضر، انها فعلاً تكرهه. بأي حق يقتحم ماضيها بهذه السهولة؟ جوناثان يحبها. وهو يساوي الف مرّة هذا الرجل الوقح القاسي والهازئ!

نهضت وخداها ملتهبان غضباً:

«سأحاول ان اوضح الامور. جوناثان في الثلاثين من عمره، انه اسمر وعيناه زرقاوان. وهو رجل وسيم يعرف كيف يتصرف مع النساء. كان عليّ ان اتزوجه، وانا مشتاقة اليه كثيراً».

لقد سجلت علامة جديدة. لكن ما جدوى ذلك؟ بدأت تشعر بحنين الى الوطن ولم تكن ترغب الا بشيء واحد: ان تعود الى غرفتها الوحيدة.

«ايمكنني الذهاب الآن؟».

لم تكن تتوقع ابداً تصرفه. اقترب منها ورفع وجهها وحدق في عينيها وقال:

«انني لا اعرف كيف اعامل النساء يا آنسة دالتون؟ حسناً! هذا يتعلق بالمرأة التي هي امامي... اذا كانت تجذبني نحوها...».

وقع نظره على فم تامي، فتراجعت بصورة غريزية. لكنه منعها بوضع ذراعه على خصرها، في حركة ناعمة لكنها حازمة. وهمس يقول: «قلت: «اذا». وفي مثل هذه الحالة عناقي يفسّر كل شيء اعنيه».

احنى رأسه وراحت تامي تتخبط للتخلص منه.

«لا! ارجوك. لا اريد عناقك».

«بل تريدين. لقد اردت ان تتحديني وها أنذا مستعد لرد التحدي».

وبلطف متزايد، مدّ يده حول عنقها ثم رفعها وراء اذنيها، الى خديها وراح يلامسها بحنان. وادركت تامي انه كان على حق عندما قال ان عناقه يفسّر ما يعنيه.

كانت تامي ترتجف من رأسها حتى قدميها، عندما تركها والتقت عيناها بنظراته الساخرة.

قال في صوت بطيء وناعم:

«هل هذا يكفي؟».

«أنت هاربة، تبحث عن ملجأ».

وما ان وصلت الى غرفتها حتى القت بنفسها على السرير. وبدأت الدموع تنفجر وتسيل على خديها. فاللحظة قصيرة بينما كان ريك يعانقها، احست بشعور ناعم ومرّ. انها تحب رجلاً يكرهها. وظلت ممددة على السرير، تحدق في السماء السوداء من خلال النافذة. كانت النجوم تلمع. وفكرت الى اي درجة كانت ترغب في ان تعانقه وتقول

له: «بقدر ما انت تكرهني، وما دمت تعانقني هكذا، فلن اتركك ابداً». هزت رأسها. انه جنون حقيقي. هل فقدت كل كرامة وعزة نفس؟ هل في امكانها احتمال برودة اعصابه سنتين كاملتين؟ واذا عرف انها تحبه، سوف يعذبها اكثر واكثر، وسوف يستغل هذه الفرصة. تنهدت وابعدت شعرها الى الوراء في حركة عملية، وهي تقول: «اتمنى ان يساعدني الله كي لا ادعه يعرف انني احبه!»

٧ - لن تذهبي الى اي مكان

صباح اليوم التالي، وفي وقت الفطور، ألقت السيدة موريس الى تامي نظرة ثاقبة وقالت:

«يبدو انك لم تنامي جيداً».

«اعتقد اني احنّ الى الوطن. والغريب اني لم اترك احداً ورائي. والذي كان كل شيء لي، لكنه مات منذ سنة».

قالت السيدة موريس وهي تصب القهوة في فنجانها:

«ما زلت تعتبرين انكلترا وطنك. اما انا فإني اعيش هنا منذ زمن طويل واشعر ان استراليا وطني».

جلست وتناولت فنجانها واضافت:

«لكن غالباً ما كنت اشعر بالحنين الى الوطن. لا استطيع مقاومة

هذه العاطفة. يجب الانتظار حتى يزول الحنين تلقائياً».

لم يسبق للسيدة موريس ان تحدثت عن احاسيسها.

فسألتها تامي:

«هل هاجرت مع عائلتك؟».

هزت الوصيفة رأسها وشدت على مريولها الأبيض الناصع واجابت:

«نعم، جئت مع زوجي».

ثم اضافت:

«كان لنا صبي، مات في حادث انفجار».

ندمت تامي لأنها طرحت عليها السؤال. انهت السيدة موريس احتساء القهوة وبدأت تنظف الطاولة كأنها شعرت فجأة بأنها في حاجة الى ان تفعل شيئاً ما.

اضافت تقول:

«ولهذا السبب جئنا الى هنا. كنت اعتقد انه ليس بامكاني ان اشفى من فقدانه. وظن زوجي يوم ان حياة جديدة في بلد جديد ربما ساعدتني على تخطي محنتي. لكن ذلك لم ينجح».

تطلعت الى تامي من جديد.

«من الأفضل التفكير في الامر ملياً. انت ما زلت شابة ويمكنك ان تعودي الى بلدك متى سئمت العيش هنا. صرت في سن يفرض عليك الاستقرار. هل لديك حبيب في انكلترا؟».

اشارت لها تامي برأسها علامة النفي. صحيح ان جوناثان هناك، لكنها لا ترغب في الزواج منه.

بعد فترة، وهي جالسة في مكتبها، ظلت كلمات السيدة موريس ترنّ في اذنيها: العودة الى الوطن... ولم لا؟ نعم، انه املها الوحيد. يجب الرحيل في اقرب وقت ممكن.

بينما كان ريك يملي عليها رسالة، كانت تراقب وجهه البارد. كان
ينظر الى اتجاه السور، ورأت تقطب حاجبيه. لم يكن يكترث لها كأنها
آلة. وبعدما انتهى نهض واستعد للخروج:
فقالت تامي بسرعة:
«يا سيد هانتون، هل يمكنني ان اكلمك قليلاً؟».
اجاب ببرود:
«ماذا عندك؟».
ازدردت تامي ريقها وقالت:
«اريد العودة الى انكلترا. واني اعدك ان استقل الباخرة الأولى،
اذا وافقت على تركي العمل».
خيّم صمت طويل شعرت تامي بتوتر في اعصابها. كان ما زال
يحدق فيها باستمرار. ثم سألها في لهجة ساخرة:
«كي تعودي الى جوناثان؟».
حوّلت نظرها عنه واجابت في صوت منخفض:
«نعم!».
فقال في قسوة:
«تعتقدين انني احمق كي اصدق قصصك الخرافية فيما يتعلق
بجوناثان. اذا كان حقاً كما وصفته لي فهو لا يتذكرك. لا شك في ان
امرأة اخرى جذبته اليها. لو كنت مكانكِ، لنسيته».
توجه نحو الباب ثم التفت اليها وقال:
«لقد دفعت لك يا آنسة داتون معاشاً مقدماً لقاء عملك هنا
وأي تعويض سأناله منك اذا وافقت على ذهابك؟ شدد على كلمة
اذاً».
نظرت اليه بهدوء قائلة:
«سوف ارد لك المال حتى آخر فلس».

فقال وهو يبتسم:
«ما زلت تدخلين جوناثان في القصة، أليس كذلك؟».
حاولت مرة اخرى:
«ارجوك!».
تقلصت شفتا ريك وقال:
«لن تذهبي الى اي مكان آخر. ضعي ذلك في رأسك جيداً
وتخلي عن هذا التصحيح فلن ينفعك».
وبسرعة البرق قال قبل ان يخرج ويصفق الباب وراءه:
«اريد هذه الرسائل قبل الغداء».
ظلت تامي وحدها تتساءل كيف يمكن للمرء ان يكره انساناً ويحبه
في الوقت نفسه. لقد فكرت بأنه لم يبق امامها سوى الاتصال
بجوناثان، لكنها، في اعماق نفسها، ترفض ذلك. هذا يعني انها
ترضى بمصيرها.
انتهت سلسلة المحاضرات، ووجدت تامي نفسها من جديد حرة
في المساء. اتصلت بها بولا صباح السبت. وعرفت تامي مسبقاً ما
تريد بولا ان تقوله لها. عليها ان ترفض عرضها حتى لا يقع شجار
جديد بين ريك هانتون وبينها. ووعدت بولا بأن تحاول الخروج
معها في الاسبوع المقبل.
في نهاية الاسبوع تبدأ عطلة السيدة موريس. احضرت لتامي
بعض المأكولات مسبقاً ووضعتها في البراد. اما ريك، فيمضي اوقاته
في زيارة المزارع البعيدة. ومن النادر ان تجده في مزرعة «الصخرة».
شعرت تامي بالارتياح. ستكون وحيدة لمدة يومين. وخططت للقيام
بنزهات في المنطقة. فالمزرعة تمتد على بعد كيلومترات وكيلومترات،
التي تعرف منها، فقط ما يحيط بالمنزل.
وبعد ان تناولت فطور الصباح، اعدت سلة ملأتها بالمأكولات،

لأنها تنوي تناول طعام الغداء في الهواء الطلق حيث تتأمل في وحدتها في نزهاتها. وقبل نعلها، توجهت الى مكتبها لاحضار قبعتها لتحمي رأسها من حرارة الشمس اللاهبة. ولما التقت ريك وهو يخرج من المكتب، بدأ يتفحصها في سخرية، اذ كانت ترتدي قميصاً قطنيا وبنطلون جينز وتبدو مختلفة تماماً عن السكرتيرة الرصينة. كانت تبدو قصيرة القامة في البنطلون والحذاء الخالي من الكعب. وهي ايضاً نظرت اليه، اذ كان يرتدي قميصاً قطنياً وسروالاً بنياً، كما لاحظت شعره الاشقر في اعلى صدره بارزاً من القميص ذات الياقة المفتوحة.

وبسرعة ادارت وجهها عنه. فقال:

«هل صحيح انّ عمرك اثنان وعشرون سنة؟ تبدين وكأنك في السادسة عشرة».

ورأى السلة في يدها فقال:

«الى اين انت ذاهبة؟».

لم تعجبها ملاحظته عن سنها. فهي سريعة التأثر بهذا الموضوع بالذات لأنها كانت تفعل المستحيل لتظهر تماماً حقيقة عمرها. ثم انتبهت الى سؤاله. كيف عرف انها تنوي الخروج؟

فقالت في صوت مترفع:

«سوف انزه قرب المزرعة».

لم يعجبه ردها. فتقدم خطوة منها، فرجعت الى الوراء بسرعة واضافت:

«لا اعرف الى اين بالضبط. لقد قررت الخروج الآن».

«هذا جواب افضل بكثير».

لم ترد عليه، وكانت تأمل في ان يذهب ويتركها وحدها. فجأة سألها:

«ماذا تفعلين عندما تمرين داخل حاجز؟».

فتحت عينيها واسعتين وقالت:

«اي حاجز؟».

«عرفت انك لم تفهمي ما اقصد. اني اتكلم عن حواجز الماشية. عليك ان تغلقيها وراءك. هل فهمت؟».

هزت رأسها ايجاباً.

«اعتقد انه من الأفضل ان اصطحبك معي».

انتفضت وقالت له في عجلة:

«سوف اغلق الحواجز ورائي! اعدك بذلك»!

«اعتقد بأنك تحبين رفقتي، وانا كذلك. لكني لن ادعك تتنزهين في ممتلكاتي من دون حراسة. هل تجيدين ركوب الخيل؟».

«كلا».

ضحك وقال:

«ابنة المدينة الحقيقية! لم تتدربي بعد على اجتذاب اصحاب المزارع الأغنياء».

ظلت صامتة. وهو بدأ يفقد صبره.

«سوف اعطيك دروساً في ركوب الخيل».

«كلا، شكراً: اني... اني اخاف الحصان. ولا سبب لتلك الأمور».

حدقت في السقف الأبيض في حذر وقالت:

«لست انوي البقاء هنا طويلاً».

القى اليها نظرة ساخرة وقال:

«هل ما زلت تشطبين الأيام من روزنامتك؟».

احمرت خجلاً. لا شيء يفوته.

اضاف يقول:

«لو كنت مكانك، لما وضعت آمالي كلها على انتظار نهاية العقد».

من يعرف؟ ربما اقرر عدم الاستغناء عن خدماتك اذا رأيت انك تستحقين توبيخة وبحدة».

وادركت تامي ان في وسعه ان يفعل ذلك، متى اراد. وستظل سكرتيرته الى ان يغزو الشيب شعرها.

كان ريك يضحك بتمهل كأنه قرأ ما يدور في افكارها فأمرها بجفاف:

«اذهبي وفتشي عن قبعتك».

وأشار الى سلة المأكولات وقال:

«لن تحتاجي اليها».

اعادت تامي محتويات السلة الى البراد، ثم صعدت الى غرفتها واحضرت قبعتها. وكانت تتساءل عن مستقبلها مع هذا الاضطهاد المستمر. حسب العقد، بقي لها عطلة آخر الاسبوع. وهي الآن ترى نفسها تلبي اوامره ولا تجد سبيلاً للتخلص من سيطرته.

وضعت القبعة على رأسها وخرجت على مضض. كان ريك واقفاً امام سيارة الجيب. تفرس فيها ثم قطب حاجبيه وقال:

«لسنا متوجهين الى حفلة استقبال. أليس عندك قبعة اخرى؟».

«وما تشكو هذه القبعة؟».

«من كل شيء».

شاهدته يبتعد في خطى واسعة. خلعت قبعتها ونظرت اليها. انها لا تشكو من شيء، بل انها رائعة وخاصة الربطة الزرقاء في مؤخرة الرأس. فناداها ريك:

«وما بك، تعالي؟».

اخذ ريك يضع القبعات على رأسها لتختار ما هو مناسب منها، لكنها كانت واسعة بحيث كانت تسقط على اذنيها وتحجب عنها النظر.

فقال بحدة:

«لا بأس اذن. ضعي قبعتك وتعالي. لقد اضعنا الكثير من الوقت».

خرجت تتبعه، ولما وصلت الى السيارة دفعها ريك وامرها قائلاً:

«اخفضي قبعتك. يجب ان تحمي عينيك وخاصة وجهك من الشمس».

فأطاعته وهمست:

«احب ان ارى اين امشي. فاذا احنيت عنقي لن اعود قادرة على رؤية اي شيء».

صرخ:

«يا الهي! ضعي قبعتك كما تشائين».

وصعدت الى السيارة وهي سعيدة لأنها حققت، ولو مرة واحدة، انتصاراً صغيراً عليه.

٨ – ديانا سكوت

قطعت سيارة الجيب الأراضي المسورة الممتدة على مسافة شاسعة من المراعي. لم تشاهد تامي اي اثر للخراف او الماعز. وكانت ترغب في معرفة السبب. قد تكون الماشية في اعالي التلال البعيدة التي تلمع في الأفق؟ القت نظرة سريعة الى وجه ريك واطلقت زفرة وهي تتأمل المناظر امامها. خيّل اليها انها قطعت مسافة طويلة قبل ان تلمح اول مسكن: مزرعة صغيرة بعيدة. لا شك في ان ريك متوجه الى هناك.

فجأة ظهر امامها حاجز. فقال:

«هنا حاجز».

- نعم. فهي ترى ذلك بوضوح!

وقال وهو يخفف من سرعته:

«اخرجي من السيارة وافتحي الحاجز. وبعد ان اعبر اعيديه اقفاله».

كيف بامكان امرأة ان تحب شخصاً مثله. لا شك انها قد اصيبت بضربة شمس عندما تصورت انها تحبه! انه ينفرها لكنها كانت تفعل كل ما يأمرها به.

وصلا الى احد المنازل وطرق ريك الباب وسرعان ما ظهرت على العتبة امرأة على مشارف الشيخوخة.

سألها بلطف:

«صباح الخير يا جين! كيف حال دان ؟».

شعرت تامي بأن المرأة ترمقها بنظرات فضولية.

«بصحة جيدة، شكراً. انه ينتظر زيارتك بفارغ صبره».

التفت ريك نحو تامي:

«في المقعد الخلفي للسيارة، مجلات. احضريها الى هنا».

لم يكن يقول لها «من فضلك»، او «شكراً». وبعد ان احضرت المجلات، توجه ريك نحو المنزل. بقيت جين وراحت تبتسم لتامي بخجل: فلاحظت ان عليها ان تقدم نفسها. فقالت وهي تصافحها:

«اني... اني سكرتيرة ريك هاتون، وادعى تامي داتون».

«آه. انت الفتاة الانكليزية! لقد سمعنا في الحقيقة ان لريك سكرتيرة».

وقالت تامي لنفسها: «شرط الا يعرفوا المزيد».

ثم سألتها:

«هل زوجك مريض؟».

«نعم. اصيب بكسور في ظهره منذ ستة اشهر. ويقول الاطباء ان حاله ستتحسن مع الوقت. اني ومع عمل آخر كان استغني عن

خدماته، لكن ريك لا يفعل ذلك. انه يأتي لزيارته كل اسبوع ويحمل اليه الصحف والمجلات.

وظهرت في زاوية البيت فتاة. رفعت تامي نظرها متسائلة، فاسرعت امها تقول:

«هذه ابنتي ماندي، تعالي وصافحي الآنسة تامي».

لكن ماندي اكتفت بأن هزت رأسها بسرعة قبل ان تسرع في الدخول الى المنزل.

التفتت جين الى تامي وهي تقول:

«لا تكترثي لتصرفاتها، انها تغار فقط».

رددت تامي وقد فوجئت:

«تغار؟».

انفجرت جين في الضحك:

«يبدو واضحاً انك لا تعملين لدى ريك منذ وقت طويل. ان معظم النساء اللواتي تحت سن الثلاثين ستكرهنك خاصة اذا كان ريك يصطحبك معه في زياراته وتنقلاته العديدة».

توقفت قليلاً ثم تابعت ببعض السخرية:

«هل تعرفت الى الآنسة سكوت؟».

«لا».

«اللقاء سيتم حتماً. لكن عليك ان تحذري منها اذا حاولت الاستيلاء على ما تعتبره ملكها الخاص».

قهقهت جين واضافت:

«احب ان ارى تعبير وجهها عندما تعرف ان ريك يصطحبك معه في السيارة. سأكون سعيدة في اغاظتها ولو مرة واحدة».

سألتها تامي:

«هل هما مخطوبان؟».

«هذا يتوقف على ما تعنين بذلك. هي تريد ذلك، لكن ريك... لا اعتقد انه يشاركها حلمها. في كل حال، لا شيء بينهما. ان عائلة سكوت عائلة محترمة هنا ولا شك في ان الآنسة سكوت وريك يشكلان زوجين لائقين. قد يقع في غرام فتاة جميلة، لكن الزواج مسألة اخرى. انه انسان اناني».

تامي تعرف ذلك جيداً. وفي هذا الوقت بالذات، خرج ريك من المنزل، ودع جين وصعد الى السيارة. واخرج منها رزمات عديدة.

وفجأة ظهرت امرأة من اهل البلدة، ضخمة، ترتدي فستاناً مخططاً بمختلف الالوان. اقتربت منها وهي تتمايل. فلمعت اسنانها البيضاء عندما صرخت:

«صباح الخير، يا مدير. لقد خرج بوبو».

«صباح الخير، يا تيس. لا يمكنني ان ابقى اليوم. فقد تأخرت. هل تتفضلين بتوزيع هذه الرزمات على اصحابها».

صعد من جديد الى السيارة، وقبل ان يقلع صرخ في الولد الاخير:

«تلك الرزمة الزرقاء، يا وليم. ليأخذ كل واحد حصته، اتفقنا؟».

عندما اقلعت السيارة، شردت تامي بنظرها في السهول المتموجة. وفكرت بحزن انها لم تتح لها الفرصة لتتعرف عن قرب الى ريك، وذلك، بسبب الماضي.

قال ريك قاطعاً عليها افكارها:

«في المحطة الثانية، سأزور جو العجوز. يمكنك ان تخرجي من السيارة وتنشطي قدميك، واياك ان تقتربي من منزله. هل تفهمين؟».

أومأت موافقة. فتوقفت السيارة امام بيت شبه مهدوم، كل ما فيه

يدل على انه خربة. وكانت الشمس تسطع حرارتها في كل مكان. وقررت تامي الخروج من السيارة وانتبه حول المكان لاستنشاق الهواء المتعب. رأت ريك هاتون يدخل المنزل ثم تطلعت حولها: هنا لا اثر للمراعي الخضراء، الارض قاحلة، باستثناء بعض الشجيرات النافرة المنثورة هنا وهناك. قد تكون قلة المياه جعلت هذه المزرعة على هذا النحو من البؤس والفقر. والمرج لم يكن سوى ارض جرداء.

اطلقت تامي زفرة امام هذا المنظر الصحراوي. شيء ما تحرك وراء احدى الشجيرات. ظلت تنظر اليه. وفجأة ظهر كلب ضامر، هزيل، وراح يحدق فيها بتردد. كان يتألم من قدمه اليمنى: يعرج ويطلق نحيبا يدعو الى الشفقة. تقدمت تامي خطوة منه.

«ابتعدي عنه... الا اذا كنت تريدين ان يهجم عليك ويعطبك. عودي الى السيارة».

نظرت الى ريك الذي كان يقف على سلم الشرفة قرب رجل عجوز شعره ابيض، يرتدي سترة جلدية قديمة وسروالاً معلقاً برباط حول الركبتين.

تقدم ريك من الكلب وامره:

«الى حجرتك، يا جانتي !».

ابتعد الكلب وهو يعرج بألم. عضت تامي على شفتيها وشاهدت ريك يتوجه نحو العنابر برفقة الرجل العجوز.

وبعد قليل عاد الكلب الى قرب الشجيرة، وراح يلحس قدمه المكسورة. ان هذا الكلب المسكين في حاجة الى مساعدة.

القت نظرة حولها ولم تشاهد ريك ولا الرجل العجوز. خرجت من السيارة وتوجهت نحو الكلب. وما ان اقتربت منه حتى لاحظت ان عينيه الحمراوين تراقبان معظم حركاتها. وظنت تامي بأن مثل هذا الكلب لا يمكنه ان يكون متوحشاً. انه في حاجة الى مساعدة.

وتذكرت ان ريك ناداه باسمه. وما هو اسمه؟ جانتي؟ نعم، فهي تذكر ذلك جيداً. فهمست باسمه وراحت تزحف وتقترب من الحيوان. لامست اولاً فمه. ثم اقتربت من قدمه المصابة: شيء ما غرز في جلدته وصولاً الى اللحم. انها شوكة سوداء. والقدم متورمة. وفي لطف شدت على الشوكة. فراح الكلب ينوح، واخيراً سحبت الشوكة ونظرت اليها وفوجئت بضخامتها.

«الآن، سيزول ألامك، يا جانتي».

وبدأت تحاول الوقوف عندما شعرت بان شخصاً يشد على معصميها، ثم يرفعها بعنف حتى كادت ان تفقد وعيها.

التقت عيناها عيني ريك الملتمعتين غضباً، كأنه يريد ان يقتلها. تراجعت الى الوراء. فامسكها بكتفيها وهزها كما لو كانت دمية من قماش، وفي الوقت نفسه، راح يتدفقها بشتائمه، لكنها لم تكن تفهم ما يقول. كانت تعرف فقط انه كان يؤنبها. انغرزت اصابعه في كتفيها وتساءلت ما اذا كان عقابه القاسي قد بدأ.

وعندما اطلق سراحها اخيراً، حاولت ان تستعيد وعيها وسمعت الرجل العجوز يهمس قائلاً:

«تمهل يا ريك. كفى الآن».

«لا تتدخل في الامر يا جو. انت تعرف ان القانون الاول للادغال هو ان يمارس المرء الطاعة».

شعرت بالدوار من شدة الالم. والتقى نظرها بنظر ريك البارد، وصفعته على وجهه، بقوة.

اقترب ريك منها شاداً على معصمه. وما لبثت ان شعرت بشخص يحملها على كتفه وينقلها الى السيارة كما يحملون عادة كيس البطاطا. ودفعها بشدة الى داخل السيارة.

«والآن، ابقي هنا حتى اعود».

رآه يبتعد نحو المنزل. بالرغم منها بدأت الدموع تنهمر من عينيها. يا لحظها السيء الذي اوقعها بين يدي هذا القبر المجنون. انه لا يفوت فرصة واحدة من دون الانتقام منها. فركت عينيها وفجأة شعرت بيد توضع على كتفها. فانتفضت. انه الرجل العجوز.

«لقد قمت بعمل جيد، يا آنسة، حتى ولو انبك ريك هاتون على ذلك. لا شك انك غاضبة عليه كثيراً. اليس ما اقوله صحيحاً؟».

ابتلعت تامي ريقها ولم تقل شيئاً. فهمس قبل ان يبتعد:

«سوف احضر لك شيئاً تشربينه».

عاد بعد قليل حاملاً ابريق قهوة. فسكب لها فنجاناً اخذته شاكرة مبتسمة.

وقدم لها جو زهرة زرقاء تشبه البنفسج. كان يشعر بالخجل وهو يقول:

«انها في لون عينيك تقريباً».

وامام لطفه الزائد اغرورقت عيناها بالدموع وشكرته من كل اعماقها. ثم احتست القهوة اللذيذة وسألته:

«جو، ماذا وضعت مع القهوة؟».

«اعتقدت بأنك في حاجة الى شيء لينعشك، فوضعت ماء الزهر».

شربت تامي في تمهل ثم اضاف العجوز:

«اني... اني اعتقد انك حانقة جداً على ريك. لكن لم يسبق لي ان رأيت ريك خائفاً ومذعوراً قبل الآن. كان ابيض كالثلج عندما شاهدك تسحبين الشوكة من ساق الكلب. واعتقد انه غضب، لهذا السبب بالذات. ما من احد يجرؤ على الاقتراب من هذا الكلب».

قالت تامي:

«كان والدي طبيباً بيطرياً، وكنت اساعده. الحيوانات تدرك بغريزتها ما اذا كان الانسان يساعدها ام لا».

وافق جو على كلامها ثم التفت نحو منزله ورأى ريك هاتون خارجاً منه. فشدت تامي على شفتيها وشكرت جو على القهوة ووضعت الزهرة على ركبتيها.

صعد ريك الى السيارة من دون ان ينظر اليها. ثم اشار بيده الى جو وقال:

«الى اللقاء يا جو».

ثم انطلق. وبينما كانت السيارة تقوم بنصف استدارة لتأخذ طريق العودة، صرخ جو قائلاً:

«احضر الآنسة معك مرة ثانية».

لم يرد ريك وبقي قاتم الوجه. وخيم الصمت لمدة طويلة. وكانت السيارة تنحرف كلما التقت بطريق غير متساوية. التفت ريك الى تامي وسألها

«هل تشعرين بألم؟».

لم ترد، بل راحت تتأمل المناظر امامها. في عطلة الاسبوع المقبلة، ستنهض باكراً لتعاود القيام بنزهة مثل هذه.

همس وهو يلمس خده الايمن:

«انك تجيدين الصفع، هل هذا يعوضك بعض الشيء؟».

اجابت تامي بلهجة مقتضبة

«تماماً».

دفع رأسه الى الوراء وانفجر ضاحكاً. اما تامي فراحت تداعب اوراق الزهرة التي قدمها لها جو. شاهد ريك ما تفعله وقال:

«هل اعطاك العجوز هذه الزهرة؟ لا شك انك شكرت له صوتك!».

«كان لطيفاً جداً معي وحاول التعويض عن المعاملة السيئة التي تلقيتها منك».

فقال في هدوء:

«ربما اضطر في احد الايام الى خنقك، يا آنسة. انت تعرفين جيداً لماذا ابتك. الكلب الذي اشفقت عليه متوحش وشرس. كان في وسعه ان يمزقك قطعاً. في المرة المقبلة، سوف تطيعين اوامري، والا سأعطيك درساً لن تنسيه. هل فهمت؟».

لا جدوى من الرد. نظرت من جديد من النافذة الى المراعي الخضراء والماشية التي تمر من بعيد.

ثم اعلن بإيجاز:

«في المحطة التالية، سنصل الى منزل السيد سكوت، حيث ستدعى الى الغداء، ومن دون شك الى العشاء ايضاً».

رمق تامي بنظرة سريعة واضاف:

«نظفي الغبار عن وجهك».

تفرست فيه وتساءلت في نفسها: سكوت... اليس هذا اسم عائلة عظيمة. لم تكن تريد التعرف الى هذه العائلة العريقة والارستقراطية

ثم قالت:

«دعني انزل هنا. فلست في مزاج يسمح لي بأن امضي يومي مع اناس لا اعرفهم».

«وما تنوين فعله؟ هل تريدين قطع ثلاثين كيلومتراً مشياً على الاقدام، حتى تصلي الى البيت؟».

«ما عليك الا ان تدلني الى الطريق الذي سأقطعه، ويمكنك ان تقلني في طريق عودتك، اذا كنت ما ازال امشي».

«لا مجال لذلك ابداً ستأتين معي، ولن اتراجع عن كلامي مهما

كلف الامر».

تفرس فيها واضاف:

«يا الهي، ماذا فعلت بوجهك؟ هناك بعض السواد حول عينيك».

«لا اعرف ما اذا كان ذلك يهم عائلة سكوت. من الافضل ان يعرفوا كيف تعاملني. لا شك ان في استراليا نقابة تحمي السكرتيرات وتدافع عنهن ضد اصحاب العمل المتوحشين».

نظر امامه وهز كتفيه وقال:

«كان عليك ان تهتمي بتحرير النساء».

«يا له من مزاح في غير محله!».

رمقها بنظرة مرحة واخرج مرآة صغيرة، فنظرت اليه باستغراب. انها مرآة نسائية. وعرفت لمن تكون. ناولها المرآة وقال:

«اني احتفظ بها للحالات الطارئة».

اخذتها بطرف اصابعها وتفحصت وجهها المليء بالغبار. كيف في امكانها ان تنظف وجهها من دون منديل، او ماء؟ اطلق زفرة واخرج من جيبه منديلاً ابيض. ثم تناول زجاجة صغيرة مليئة بالماء وراح يبلل المنديل.

مسكن عائلة سكوت ليس كبيراً مثل مزرعة «الصخرة»، والاراضي اقل خصوبة من اراضي ريك هاترون. صحيح ان عائلة سكوت تنتمي الى العائلات الراقية لكنها ليست في غنى ريك وشهرته

عندما توقفت السيارة امام المنزل، كان الباب قد فتح. نزل ريك بسرعة من السيارة وتامي تراقب الفتاة الشابة الواقفة على درج الشرفة.

انها الفتاة الشقراء التي اخبرتها عنها السيدة موريس. واعترفت

تامي بأنها تتمتع بجمال نادر. ثوبها الأزرق يشد قامتها المثيرة وشعرها الطويل يتساقط على كتفيها. واذا كان هذا هو النوع من النساء الذي يحبه ريك، فهي تفهم الآن لماذا يجدها سخيفة للغاية. فشعرت بالحزن والكآبة. خرجت من السيارة وهي متقلصة كلياً، تشد على الزهرة الصغيرة الزرقاء التي قدمها اليها الرجل العجوز.

سمعت تامي صوت الفتاة تهمس: «حبيبي» وتساءلت تامي ماذا ستفعل عندما يقترب كل منهما من الآخر. لكن لم يحدث ما كانت تتوقعه. لمس ريك لحظة كتف الفتاة، ثم استدار نحو تامي وقال:

«ديانا، اقدم لك الآنسة داتون... سكرتيرتي. بالنسبة الى انها فريدة من نوعها. وانت يا آنسة داتون، اقدم لك الآنسة ديانا سكوت. انها صديقة قديمة».

رفعت ديانا حاجبيها، لكنها سرعان ما انتهت ومدت يدها الأنيقة لتامي.

«نعم».

ابتسمت لها ديانا، لكن عينيها الخضراوين ظلتا باردتين. وفكرت تامي في ان ديانا لم تعجب بها. وتبعت ريك وديانا الى داخل المنزل، سارع لاستقبالهم رجل بدين قائلاً:

«ادخل، يا ريك. اني سعيد لرؤيتك. ومن تكون الآنسة؟».

وعرفه ريك عليها. الرجل كان والد ديانا.

«زوجتي ستأتي في الحال. تفضلا بالدخول».

امسك بيد تامي ورافقها الى غرفة تطل على جو كبير. انها قاعة كبيرة ومنيرة، فيها عدة طاولات صغيرة، وخزانة صغيرة من خشب الجوز وضعت عليها اشياء عاجية وسلة زهور كبيرة. اعجبت تامي بهذا الديكور الجميل.

قال السيد سكوت بعدما جلس قربها:

«باقات الزهور هي هواية زوجتي الأولى. انها خبيرة فيها، أليس كذلك؟».

هزت تامي رأسها وقالت:

«انه لفن رائع».

لاحظت تامي انها ما زالت تحمل زهرة جو في يدها.

«هل يمكنني ان اطلب قدحاً وماء اضع فيها هذه الزهرة؟».

«طبعاً. اتبعي وتعرفي الى زوجتي في المطبخ».

تبعته وهي تعي تماماً نظرات ريك المحدقة بها. وفي الوقت نفسه كان يصغي الى ديانا التي كانت تخبره اشياء كثيرة بصوتها المبحوح.

السيدة سكوت امرأة مهيبة ووقورة. وفهمت تامي من اين ورثت ديانا بدانتها. وتساءلت ما اذا كانت الفتاة ستصبح يوماً ما بضخامة والدتها. لكنها ازاحت عن رأسها تلك الفكرة وصافحت السيدة سكوت في ابتسامة عريضة.

ظلت تامي تتكلم مع السيدة سكوت في المطبخ لفترة لا بأس بها. هنا، على الأقل، ريك هاتون لا يمكنه ان يسمعها او يراها.

وشعرت بالارتياح لأنها بعيدة عنه.

٩ - دعيني ابكي!

اثناء تناول طعام الغداء جلست تامي بين السيد والسيدة سكوت، وجلس ريك هاتون في مواجهة ديانا. هذا ما يوافق تامي تماماً. اذ ليس في الامكان ازعاجها، على الأقل في وقت الغداء.

وتذوقت تامي المأكولات المقدمة واعجبت بها مما جعلها تأكل في شهية كانت تفتقدها في الأيام الأخيرة. الطبق الأول كان مكوناً من سلطة منعشة يعد صباح حار. اما الطبق الثاني فكان يحتوي على انواع مختلفة من اللحوم، فاختارت تامي لنفسها فخذ دجاج.

لم تثرثر ديانا الا مع ريك، متجاهلة الآخرين. لكن تامي لم تكن تتذمر من ذلك، بالعكس كانت مرتاحة لان ريك لم يعد يحصر

اهتمامه فيها.

سألت السيدة سكوت:

«هل انت قريبة سيليا داتون؟ انهم يملكون خيولاً لسباق الخيل في نيوبري».

فأجابت تامي بسرعة:

«يا الهي. لا. ان اصل عائلتي فقير ونحن متواضعون. وكما يقال، لست سوى سكرتيرة انكليزية عادية ومبتذلة».

انفجر السيد سكوت بالضحك وسألها:

«ما هو اسمك الصغير؟ لن نبقى طوال السهرة نناديك بالآنسة داتون. اننا نكره الرسميات».

كانت على وشك ان ترد عليه عندما تدخل ريك في الحديث وقال:

«انها تدعى دليلة. واني ارى ان الاسم يليق بها. أليس كذلك؟».

ارادت تامي مقاطعته ولكن ربما اذا قالت لهم انها تدعى تامي، سيسألونها عن اصل هذا الاسم، وهي لا تريد ان يعرف ريك هاتون التفاصيل.

صرخ السيد والسيدة سكوت معاً:

«هل هذا صحيح؟».

وافقت تامي ولاحظت ان ريك كان يخشى ان تكذب اقواله.

اما السيد سكوت فهمس قائلاً:

«يا للغرابة!».

لكنه استدرك قائلاً:

«انه حقاً اسم لطيف ورائع».

وهزت تامي رأسها في جدية وقالت:
«انه اسم شائع في عائلتنا».
وسمعت ريك يسعل انه كاد يختنق وهو يأكل قطعة من الخبز.
وبعد الغداء اقترحت ديانا القيام بنزهة على الخيل.
وبتهذيب، دعت تامي الى المجيء معهم، لكنها ابلغتها انها لا تجيد ركوب الخيل.
تدخل ريك في الحديث وقال:
«سأعطيها بعض الدروس، قريباً».
نظرت تامي اليه واجابت في حزم:
«آسفة، متى عدت الى بلادي، فلن احتاج الى الخيل. لذلك فلا جدوى من اعطائي دروساً في هذا المجال».
استدارت نحو السيد سكوت وقالت:
«لن ابقى هنا الا لسنتين فقط، كما اني اخاف من الخيول خوفاً رهيباً».
فشرح ريك قائلاً:
«المشكلة الوحيدة التي قد تواجهينها في ركوب الخيل هي الاقتراب من الحصان. ستنسين هذا الخوف بسرعة».
نظر السيد سكوت الى ريك اولاً ثم الى تامي ثم وجه كلامه الى ريك:
«لو كنت مكانك يا ريك، لما ارغمتها على ان تتعلم ركوب الخيل. تذكر انها فتاة انكليزية. ان بناتنا يتعلمن ذلك منذ المهد».
«سوف تتعلم، انا واثق من ذلك».
ثم توجه نحو ديانا وقال لها:

«حسناً. والآن، لنذهب الى النزهة».
وقبل الذهاب، همس لتامي:
«اعتقد انه في وسعك ان تكوني مرتاحة البال ساعة او ساعتين، يا دليلة، أليس كذلك؟».
كانت شديدة الغضب، فلم ترد.
وبقيت تامي مع السيد والسيدة سكوت في غياب ريك عائلته. ولاحظت تامي ان تصرف السيدة سكوت تجاهها لم تعد مرتبة وكانت ترمقها من وقت الى آخر بنظرات ناقدة. وتساءلت تامي ما اذا كانت السيدة سكوت تخشى على ابنتها منها. فهي لا تعرف لماذا يهتم ريك بها كثيراً.
عاد ريك وديانا في اقل من ساعة. الفتاة بدت عابسة وقد رمقت تامي بنظرات ماكرة.
راح الجميع يثرثرون في غرفة الجلوس الى ان حان وقت العشاء.
فحل الظلام وانيرت الغرفة بالكهرباء.
وللمرة الاولى توجهت ديانا بالحديث الى تامي:
«هل تشعرين بحنين الى الوطن، يا دليلة؟».
فضلت تامي لو لم تطرح ديانا هذا السؤال. اذ ان حلول الليل، والظلال ونور المصباح القديم، كلها تذكرها بمنزلها. وشعرت بأن حلقها جف. فأجابت بهدوء:
«آه. نعم. كثيراً».
«وهل تركت احداً وراءك؟».
بدأت تامي تدرك ما وراء هذا السؤال من اسباب.
فأجابت وهي تعرف جيداً انها لا ترد على السؤال المطروح:
«هل تعنين احداً من اهلي؟».
«آه. لا. اني اقصد ما اذا كنت تركت وراءك انساناً عزيزاً على

قلبك».

اجابت تامي:

«لست عطوبة لأحد».

ارادت ان تغير الحديث. فهي تشعر بنظرات ريك منصبة عليها، حتى ولو لم تشاهد تعبير وجهه.

قالت ديانا في ترفع:

«سألت ذلك فقط لأني شعرت بأنك تريدين العودة الى انكلترا».

وتدخل سكوت في الحديث وقال:

«انه شيء طبيعي ان تشعر بالحنين الى الوطن.. اني افهمها. وانا ايضاً جئت من هناك. وشعرت بالاحساس ذاته. لكن ذلك حصل منذ سنوات عديدة، وما زلت أتذكر هذا الاحساس تماماً. مرات عدة كنت على وشك الركوب في اول باخرة ذاهبة الى انكلترا. طبعاً اني الآن سعيد لأني لم افعل ما كنت اشعر به حينذاك».

تدخل ريك في الحديث وقال في لطف:

«هل رأيت، يا دليلة، انها مسألة وقت فقط».

تامي وحدها تعرف ماذا يختبىء وراء هذا اللطف الظاهر.

شعرت بالدمع يصعد الى عينيها. وفجأة شعرت بالتعب والحزن والألم والحنين الى الوطن. انها مشتاقة الى العودة الى مزرعة «الصخرة» حتى تفرغ كل ما في داخلها.

بعد العشاء غادر ريك وتامي منزل عائلة سكوت. ولم تشأ ازعاج ريك وديانا في لحظة الوداع. لكن، فوجئت بريك وراءها. فدخلت تامي الى السيارة ونظرت الى ديانا التي كانت تنتظر من ريك «قبلة الوداع»، لكنها لم تتلق منه سوى ربتة على كتفها. فقالت في لهجة حانقة:

«ريك!»

اجابها ببرودة وهو يصعد الى السيارة:

«تصبحين على خير، يا ديانا».

لا شك في انهما تعانقا طويلاً خلال رحلة ركوب الخيل. لا يمكن ان يكون ريك حبيباً بارداً.

خلال العودة، نامت تامي في السيارة. ولم يكن ريك مستعداً للكلام. فجأة شعرت بيد تمسك كتفها. ففتحت عينيها واذا بريك يقول لها بحنان:

«لقد وصلنا».

هبطت من السيارة ناسية كل آلامها، لكن تقلص قلبها ذكرها بذلك. قال ريك في لهجة آمرة:

«اعدي اغراضك، هذه الليلة فقط».

فقالت نصف نائمة:

«لم افهم».

«اذهبي الى غرفتك واحضري اغراضك بسرعة! ربما نسيت، لكن السيدة موريس ليست هنا. والآن، اعتقد بأنك تفهمين جيداً؟».

حاولت التركيز وقالت:

«وما علاقة ذلك بالأمر».

«اعتقد انك لم تفهمي شيئاً. سوف اساعدك على ذلك».

قطب حاجبيه وهمس قائلاً:

«او انك تفهمين. لكن اذا كنت تثقين بي، فأنا لا اثق بك».

حاولت ان تركز لتفهم ماذا يعني، لكنها فشلت.

«لست ارغب ان اقع في المصيدة، يا دليلة، بسبب وضع معرض

المشبوهة».

والخيراً فهمت. فاغرورقت عيناها. لقد طفح الكيل. اصفر وجهها وحولت نظرها عنه وتوجهت الى غرفتها. وضعت اغراضها في حقيبة صغيرة ولحقت بريك الى باب المدخل.

صعدت الى السيارة وجلست وهي تدير له وجهها.

فقال وهو يقلع بسيارته:

«سآخذك الى السيد هاملتون، في مزرعة «الحجر».

لم ترد. . . لم تكن قادرة على ذلك. شعرت بالدمع يتصاعد الى عينيها. شدت على اسنانها. فلا يجوز ان تبكي امام هذا الرجل.

وعندما وصلا الى مزرعة «الحجر» كان المنزل مضاء، لا شك ان احداً في انتظارها.

امرها ريك عندما نزلا من السيارة:

«خذي حماماً ساخناً وستشعرين بتحسن!».

ظلت تامي صامتة:

«هل سمعت ما قلته؟».

لم ترد.

«آه! افعلي ما تريدين! سوف آتي صباح غد واصطحبك الى مزرعة «الصخرة». كوني حاضرة في الساعة الحادية عشرة».

قالت تامي اخيراً:

«لا مجال لإزعاجك. اني. . .».

فجأة غاب صوتها وشعرت بالدموع تتساقط على خديها. فاسرعت الى داخل المنزل. حيث كانت بولا في انتظارها.

«تامي! ما بك؟ هل تشاجرت مع ريك مرة اخرى؟».

مسحت تامي دموعها وقالت:

«اشعر بحنين الى الوطن، هذا كل شيء». كوني لطيفة ودعيني ابكي».

اخذت بولا تداعب يدها قائلة:

«حسناً. الى اللقاء، في صباح الغد».

١٠ - سأروّضك يوماً!

خلال الفطور، كانت عينا تامي متورمتين وكانت تبدو مرهقة حتى النهاية. حاولت بولا ان تسليها واقترحت عليها مباراة في كرة المضرب. لكن تامي اعتذرت بلطف.

وبعد الفطور غادرت بولا المنزل. السيد هامتون لم يبدُ عليه انه مستعجل في مغادرة المنزل. ادركت تامي انه ربما يريد ان يتحدث اليها. رمقها بنظرة حادة وقال في نبرة قلقة:

«كيف هي الأمور معك، يا صغيرتي؟ لم اكن اريد ان تذهبي للعمل في مزرعة «الصخرة»، لكن لم يكن في وسعي ان افعل شيئاً. لا جدوى من النقاش مع ريك هاتون. فهو متمسك برأيه وبالتالي لا يفعل الا ما يجول في خاطره».

وضع فنجانه على الطاولة وانحنى نحو تامي وأضاف:

«انه رجل جيد. اعرفه منذ كان طفلاً. اي انسان آخر يعيش في القرية يقول لك الشيء نفسه. لكن لا يمكننا ان نقول انه لا يحقد عليك، انت وحدك، بالذات».

ثم نهض بعصبية واقترب من النافذة وراح يحدّق في الخارج ويقول:

«كيف اتصرّف، يا تامي؟ مهما كان وضعي فاني اشعر بسوء ولية تجاهك. يجب ان افعل شيئاً ما لأساعدك. لا اعرف كيف».

ابتسمت. لا احد يمكن ان يغيّر رأي ريك هاتون فيها. وهي لا تريد ان يخسر السيد هامتون وظيفته من اجلها. شكرته وقالت له:

«ما يزعجني هو الحنين الى الوطن، فقط لا غير. وليس هناك دواء يعالج هذا المرض. ان ريك هاتون لا يسيء معاملتي. انه يطلب مني ان انفذ له اعمالاً كثيرة وبالتالي فلا اجد الوقت للتفكير. وحتى في عطلة نهاية الاسبوع، يأخذني لزيارة المزارع البعيدة».

لاحظت تامي ان كلامها اراح السيد هامتون كثيراً، الذي قال فجأة:

«صحيح! هذا تصرف جيد. اتعرفين ذلك؟».

نظرت تامي اليه. لو انه يعرف الحقيقة! ريك لا يصطحبها معه الا لأنه لا يريد ان يتركها وحدها في مزرعة «الصخرة».

قال السيد هامتون:

- «انه لم يقم بهذا التصرف الا معك. كان يرفض اصطحاب الآنسة ديانا سكوت معه، رغم اصرارها الدائم على مرافقته في جولاته على المزارع البعيدة».

فجأة بدأت تامي تشعر بالقلق. اذا عرف ريك انها تتباهى بهذه الزيارة، فلا شك انه سيقع على قفاه. وخطرت لها فكرة. فقالت

للسيد هاملتون:

«ان عطلة نهاية الأسبوع تمتد من مساء الجمعة حتى صباح الاثنين. انها طويلة جداً. أتعتقد ان بامكاني قضاءها هنا في مزرعة «الصخرة»؟»

وافق السيد هاملتون وقال:

«لم افكّر بذلك من قبل. اهلاً وسهلاً بك متى اردت المجيء الى هنا. بولا ستفرح لرؤيتك».

شعرت تامي بالارتياح. وقالت:

«هل تقبل بان تحدث السيد هاملتون بذلك؟».

طمأنها قائلاً بسعادة:

«اعتبري الأمر منتهياً. اعتقد اني سأقوم بجولة في الأملاك. هل تودين مرافقتي؟»

رفضت، لأنها كانت قد صممت مشاريع اخرى للنهار.

بعد ذهابه، عادت تامي الى غرفتها وراحت ترتّبها. ثم تناولت قبعتها. لكنها رمتها جانباً وارتعدت لدى سماعها صوت محرك سيارة في الممر، امام الباب. فأسرعت الى النافذة. لا يمكن ان يكون الآتي ريك نفسه. فالساعة هي العاشرة فقط. لكن عندما رأت الشاحنة، اطلقت زفرة ارتياح. الآن يجب عليها ان تغادر في الحال. ربما جاء باكراً. فلا تنوي رؤيته طيلة النهار. فخرجت من المنزل مصممة على ان تقوم بالنزهة التي حرمت نفسها اياها امس.

وفي الهواء الطلق كان الطقس منعشاً. رفعت عينيها واذا بالسماء زرقاء، خالية من الغيوم. النسيم الخفيف يحرّك اوراق الشجر. فندمت لأنها لم تأخذ معها شيئاً تأكله، لأنها قررت ان تبقى خارج البيت حتى بعد الظهر.

وبعد ان ابتعدت عن المزرعة، نظرت حولها. اين تذهب؟ ومن

بعيد شاهدت ازهاراً حمراء وبيضاء. لا شك انها المروج. انه رائع ان تتنزه بين الأشجار والأزهار. لم تفكر في ان سحابة الحزن في الجو تعطيها فكرة سيئة عن السعادة التي تجدها عن الفرح.

اجتازت غابة فيها اشجار صنوبر ذكّرتها ببلدها انكلترا. كانت تمشي وتفكّر بريك وبكلماته الجارحة التي تفوّه بها مساء امس. ولو لم يكن جوناثان موجوداً على هذه الأرض لاعتبرت نفسها المرأة الوحيدة التي لا يحبها احد. ووقفت فترة تتأمل اشعة الشمس تخترق كثافة الشجر، وتتنشق عطر الصنوبر وتفكّر بحزن ان الحياة في استراليا رائعة لولا وجود هذا الرجل الذي لا يطاق. وما ان خرجت من الغابة حتى اغمضت عينيها غير قادرة على تحمل نور الشمس الساطعة. وكانت على وشك ان تدخل الى ارض مسيّجة عندما سمعت صوت رجل يغني. فاختارت الممر الذي يؤدي الى الباب الأبيض، فتحته وسلكت الممر الضيق الذي يؤدي الى بناء صغير مبني من حجارة القرميد. ولما شاهدت الأبواب العريضة والسميكة، عرفت بفرح ان البناء ليس سوى كنيسة، فدخلتها وشعرت بجو منعش: المقاعد الخشبية المنحوتة خالية. جلست في المقعد الأخير وتطلعت حولها.

تأثرت تامي من هذا الجو الهادىء، واطلقت زفرة وهي ترى اشعة الشمس تدخل من الشباك الوحيد. وما لبثت ان التفتت اذ سمعت صوتاً يهمس من ورائها قائلاً:

«صباح الخير، هل يمكنني مساعدتك؟».

استدارت واذا بها ترى وجه رجل يبتسم لها بعينيه الزرقاوين. لا شك انه القسيس. لكن لا شيء يدل على ذلك، اذ كان يرتدي قميصاً قديمة بهت لونها، وسروالاً قديماً وينتعل حذاء كالذي ينتعله البستاني.

قال الرجل:

«لا احتفال اليوم».

فابتسمت وقالت:

«صباح الخير. اخشى ان اقول اني جئت الى هنا كي احتمي من الحرارة ومن اشعة الشمس اللاهبة. نسيت قبعتي في المنزل».

لمعت عينا الرجل الزرقاوان وسألها:

«هل انت هنا منذ وقت طويل؟».

اخبرته انها جاءت الى استراليا للعمل وهي تعمل منذ شهرين تقريباً.

فقال لها وهو يمسح يديه باعتناء قبل ان يصافحها:

«آه! انت الفتاة الانكليزية، سكرتيرة ريك هاتون، أليس كذلك؟ اذن! فلست بحاجة الى ان اسألك اذا كنت مسرورة هنا. ريك هاتون رجل طيب. لقد فعل الكثير من اجل البلدة».

وفكّرت تامي في انها الوحيدة التي لا ترى ذلك. وتساءلت: «هل يا ترى أنا من لا يتحلى بالصفات الحسنة؟».

كادت ان تطلب من القس ان يعيرها قبعة عندما لمحت ظلاً واقفاً على عتبة الباب، فاستدارت. وانه هنا، شخصياً.

قال:

«صباح الخير، يا مارتن».

ولما لمحت نظرته المحدقة بها، فكّرت ان تطلب من القس حق اللجوء اليه. اخفضت عينيها بسرعة ورأت ان ريك هاتون يحمل شيئاً في يده. انها قبعتها. وهذا المنظر الغريب لرجل حاملاً قبعتها أثّر فيها وشعرت بانفعال يغالبها مما اضطرها الى اغماض عينيها لحظة.

«صباح الخير يا ريك. أنا سعيد جداً لرؤيتك. لقد تحدثت الآن

مع الآنسة هاتون، هل تريد ان تشاركني في فنجان شاي مع الآنسة؟».

- اشار له ريك بالنفي وأضاف:

«ضاع من وقتي ما فيه الكفاية. شكراً، في كل حال، يا مارتن».

رمق تامي من جديد بنظرة حادة وسألها بقسوة:

«هل أنت مستعدة؟».

هزّت رأسها بالايجاب وهي مرهقة الاعصاب. لا جدوى من الرفض؟ فلن تتغلب عليه ابداً. نهضت ببطء وتوجهت نحو الباب. رافقها القسيس حتى السيارة ودعا تامي للعودة متى شاءت ذلك.

جلست قرب ريك الذي كان وجهه متصلباً كالتمثال. وانتظرت هجومه. رمى بقبعتها على حضنها وأمرها:

«ضعي القبعة على رأسك!».

ظل صامتاً لبرهة. كانت تأمل بألا يفتتح الحديث. لكنه ما لبث ان تكلم في صوت ناعم. وهذا ما كانت تخشاه، لأنها تفضل ان تسمع صراخه بدلاً من ان يصطنع التلطف:

«هل تعرفين، يا طفلة، ان الناس تعتبرني خبيراً في فن ترويض الخيول المفترسة؟ سوف اخضعك يا تامي، حتى ولو كان ذلك آخر ما افعله، على هذه الأرض».

اجابته في صوت خفيض:

«تريد ان تقول انك سوف تحطمني».

هزّ كتفيه وقال:

«ستدركين يوماً من هو صاحب الأمر هنا. واذا فعلت مثل هذه الحيل الخرقاء مرة ثانية، فسأكلفك درساً لن تنسيه في حياتك».

تمتمت قائلة:

«يعني انك ستصفعني في مكان لا يمكن للآخرين ان يروه»

طبعاً».

ضحك وقال:

«هذا يتعلق بك. هناك طرق عديدة لمعاقبتك، أليس كذلك؟».

اغمضت عينيها وقالت بغضب:

«افضل الضرب الجسدي».

ضحك من جديد وقال

«هل تعتقدين اني اجهل ذلك؟».

«حسناً. ساعطيك خمسة ايام في الاسبوع، وخمسة ايام فقط. هذا مدوّن في العقد. ألم تقرأه؟ قال لي السيد هامتون انه في امكاني ان امضي عطلة نهاية الاسبوع في مزرعته... وسوف افعل ذلك».

رمقها بنظرة ثانية وقال:

«اما زلت تحنّين الى جيري؟ اني آسف فلن اسمح لك بذلك. اما بالنسبة الى عطلات نهاية الاسبوع، فسنرى الأمر مرة اخرى. هذا يتعلق بوظيفتك... كسكرتيرة خاصة».

التفتت ونظرت اليه باستغراب. فضحك وقال:

«ألم تكوني على علم بذلك. اعتقدت ان السيد سلبي قال لك ذلك. ألم يحدثك عن رفع المعاش؟».

لم ترد، وظلت تنظر امامها. وصلت السيارة الى مزرعة «الصخرة»، وتوقفت امام باب المسكن. ارادت الخروج، لكنه امسكها من معصمها وقال في صوت غاضب:

«كما قلت، انت الآن سكرتيرتي الخاصة. يعني ذلك انك تحت تصرفي في كل وقت ليلاً ونهاراً. وتعويضاً على ذلك انك تنالين معاشاً محترماً لم يعط لأية سكرتيرة اخرى. وكما تعرفين، اني لا اريد ان ابذّر اموالي واضيعها سدى. سوف يكون لديك بعض العمل خلال عطلات نهاية الاسبوع. وسوف اكون حريصاً على ذلك».

خطرت في ذهنها فكرة جنونية، فصرخت بلهجة متوسلة.

«آه، لا!... لا دروس في ركب الخيل، أليس كذلك؟».

سألها فجأة:

«هل صحيح انك تخافين الخيل. ماذا جرى لك؟».

ظلّت تحدق في المنظر امامها. هكذا اذن انه يريدها ان تركب الخيل. بالنسبة اليه انها طريقة جديدة لمعاقبتها. لماذا لم تفكر بذلك قبل المجيء الى هنا، اذ ان جميع سكان المزارع يركبون الخيل. انه لن يفهم ابداً انها لا تحب الخيول وحتى ولو عرف سبب خوفها من الأحصنة، فلن يغير رأيه في الموضوع. انه لا يشعر نحوها بأية شفقة. اغمضت عينيها. ان جوناثان على حق. لقد كان يقول لها انها لن تستطيع البقاء في استراليا الا ستة اشهر. وهي الآن امضت شهرين هنا ولم يعد في وسعها الا العودة الى انكلترا بأسرع ما يمكن.

صرخ فيها قائلاً:

«اخرجي من هنا».

ارتعشت، ونزلت وظلّت واقفة بقربه مترددة. وقالت:

«والآن؟».

اجابها باقتضاب:

«الغداء! ثم نقوم بجولة في المزرعة».

تفحصت محتوى البراد. في داخله ما يكفي لاطعام جيش بكامله. ماذا يفضّل يا ترى؟ الدجاج، اللحم، السمك، البيض؟ هزّت كتفيها ووضعت في طبق بعض السلطة. ثم مختلف انواع اللحوم في طبق آخر. ثم دخلت الى غرفة الطعام. الطاولة الضخمة المصنوعة من خشب الجوز تتسع لعشرين شخصاً. لا شك انه يستقبل العديد من الناس. والغريب في الأمر ان يعيش رجل عازب في مثل هذا المنزل الواسع الضخم.

وضعت الملاعق والسكاكين والشوك الفضية وصحاف حتى تروق والدته. كما فكرت بزوجة والده الثانية التي تخلت عن كل هذا. وبعدما انتهت من تحضير المائدة ألقت نظرة اخيرة الى الغرفة. الأثاث الغامق يلمع. والسجاد السميك يتناسق لونه مع البراقع المصنوعة من القماش المشجر. وخزانة زجاجية تزيّن جهة واحدة من الغرفة، ويعرض في داخلها الأشياء النحاسية والعاجية ذات القيمة الفاخرة. وعلى الخزانة الصغيرة، من الجهة المقابلة، مجموعة رائعة من الفضيات. اطلقت نامي زفرة امام هذا الديكور وانتفضت لدى سماعها صوت ريك الساخر يقول:

«هل تفكرين بهذا عندما تتمنين الزواج من مزارع غني؟».

يا الهي كم من الوقت مضى وهو يراقبها من دون ان تعرف؟ فشعرت بالاحمرار يعلو وجهها.

اجابت في هدوء:

«كلا. كنت افكر بأن هذه الغرفة ذات جمال جذاب...».

ثم اضافت وهي تحدق فيه من دون ان يرف لها جفن:

«وخاصة بالنسبة الى سكرتيرة تافهة. اني اشعر هنا بالضياع الهائل».

مرّت امامه، فاخذها من ذراعها ونظر الى الطاولة:

«لم تضعي الا صحناً واحداً؟».

«نعم، سأتناول الغداء في المطبخ».

«لا. سوف تتناولينه معي».

اجابت وهي تزم شفتيها:

«لن اكون مرتاحة. شكراً في كل حال».

كان ما يزال يمسك بذراعها.

«سبق ان وعدت بأن تكوني مطيعة. اتريدين ان اعلمك كيف

تتعاملين معي؟».

تقلصت. ان قربها من ريك يوترها. انها تشعر بقلبها يخفق بسرعة. وعندما اطلق سراحها هرعت الى المطبخ.

لم تشعر بانزعاج في حياتها مثلما شعرت وهي تتناول طعام الغداء معه. كانت جالسة في مواجهته، وكلما رفعت عينيها كانت ترى نظراته الساخرة تحدق فيها. وما ان جلست حتى اشار اليها بأنها نسيت احضار الخبز. فهمت بالنهوض عندما اضاف في لامبالاة:

«لا داعي لذلك، الا اذا كنت تريدين خبزاً لك؟ انا نادراً ما اتناول الخبز».

كانت ترغب في ان ترمي بوجهه شيئاً ما. فهمس:

«هناك العينان غريبتان لخوتانك. انهما رائعتان. انت تعرفين ذلك من دون شك، يمكنهما ان تسحرا الرجل الطائش».

نظرت في طبقها وبدأت تأكل وتقول لنفسها: انه يحاول فقط ان يغضبني، فلن ارد عليه.

فسألها فجأة:

«حسناً. هل لديك اي انتقاد فيما يتعلق بهذه الغرفة بالذات؟».

انتفضت. فهو لا يدعها تتمتع ببعض الوقت لتستعيد وعيها وتفكيرها. ظلت تحدق في صحنها وهي ترد عليه ببطء:

«لا شيء، لا شيء. الناس البسطاء والفقراء مثلي يتأثرون قليلاً بمثل هذا الغنى الفاحش».

اجتاحتها نوبة حزن لدى تذكرها منزلها القديم والأثاث الملوّث ببقع الوحل والشعر. غالباً ما كانوا يعيدون الحيوانات الكبيرة الى غرفة الاستقبال حتى لا يقع الشجار بينها وبين الحيوانات الصغيرة داخل غرفة الانتظار.

سألها فجأة:

«كيف كان منزل جوناثان؟ او انك لم تزوريه في منزله؟».

لمعت عينا تامي مما جعله يقول:

«انك تعرفين جيداً اعلان الحرب بنظرة. اذن، ما هو جوابك على سؤالي؟».

شدّت على شفتيها وقالت:

«في الواقع، ان جوناثان يملك العديد من المنازل، واحداً في المدينة، وآخر قرب شاطىء البحر، وفيللا في الريفييرا الفرنسية، عدا منزله الريفي».

هزّ حاجبيه وقال:

«ورفضت ان تتزوجيه؟ لا يمكنني ان اصدق انك تجاهلت كل ذلك. هل هو طاعن في السن؟».

لم تشأ ان تقع في الفخ، فسألته بتهذيب:

«اتريد احتساء القهوة الآن؟».

لم يعجبه تغيير الموضوع. فقطّب حاجبيه لكنه عدل عن متابعة الحديث حول جوناثان، وسألها:

«هل تجيدين تحضير القهوة؟».

اجابت وهي مغتاظة:

«طبعاً».

«اذن، لدي بعض الأعمال يجب انجازها. سأتناول قهوتي في المكتب».

وبعدما احتسى ريك القهوة، اعترف لتامي بأنها حقاً لذيذة الطعم.

كانت تامي قد ارتدت قبل الغداء فستاناً من القطن الأزرق، لذلك فوجئت عندما امرها بارتداء سروال. ففتحت عينيها الواسعتين تريد معرفة السبب. فشرح لها قائلاً:

«سوف نقوم بجولة حول المزرعة».

وعلى مضض توجهت الى غرفتها وخلعت فستانها وارتدت سروالا وتعطّرت ثم عادت الى المكتب، فلم تجده. بحثت عنه داخل المنزل من دون جدوى.

اتجهت الى السياج واتكأت على الحاجز لتشاهد المساحة الواسعة الخضراء امامها. وبعد دقائق سمعت صوتاً اوقف شعر رأسها. كان صوت خطوات حصان يتوجه نحوها.

كان عليها ان تستجمع كل ما لديها من شجاعة للالتفات وشاهدت ريك ممتطياً حصاناً اسود لم تر بضخامته من قبل.

«اقدم لك «منتصف الليل». انه مهذب ولن يؤذيك. داعبي وجهه».

اطلقت تامي صرخة حادة. خيّل اليها انها تعيش كابوساً. وبعصبيها المشدودتين راحت تشدّ بالسياج.

لكنها توصلت ان تقول:

«لا... لا... ارجوك. ابعده عني».

«ارجوك ان تثقي بي يا دليلة، ولو مرة واحدة. هيا، داعبي وجهه».

واحست تامي ترتعد وتشد بالسياج. فأخذها من خصرها ومن دون ان تعرف ماذا يجري، وجدت نفسها جالسة على ظهر الحصان، امامه.

فهمس في اذنها:

«الانسان قادر على ان يقهر خوفه. حاولي ان تتبعي حركات الحصان».

كانت تامي تتخبط بعنف. وللحظة افلتت من يده وكادت ان تقع ارضاً، لكن سرعان ما امسك بها قبل ان تلمس الأرض.

«لا... لا... ارجوك! اتوسل اليك».

لكنه لم يكن يريد التراجع عن قراره وكان رده الوحيد:

«بل ستحاولين امتطاء الحصان».

فتمسكت بذراعه ووضعت رأسها على صدره وبكل قواها كانت ترتجف وتصرخ قائلة:

- «لا استطيع! الا ترى اني لا استطيع؟».

لكنه تخلّص من تمسكها به وقال:

«اذا كان ما تفعلينه حيلة اخرى، فانك تضيعين وقتك. على الرجل ان يمهد للأمر. اذن، كفي عن هذه المسرحية».

لم ترد. كانت [illegible]. فقد غابت عن الوعي.

١١ - الثوب الممزق

بعد ساعات استيقظت تالي. نظرت حولها. وجدت نفسها ممددة على سرير غرفتها. حاولت ان تتذكر ما حدث لها. وعادت اليها الذاكرة تدريجياً. واخر ما تتذكره هو انها كانت تتأرجح في ذراع رجل يطلب منها ان تشرب.

كان الشراب مراً، لكنها اضطرت الى تناوله. قطبت حاجبيها. اعتقدت ان جوناثان هنا، اذ همست باسمه. نهضت ببطء. لم يكن جوناثان بقربها. [illegible]. وقع نظرها على ذراعيها، ولاحظت انها ترتدي قميص النوم. احمرّ خداها. لم يكن جوناثان... بل ... وينك هاتون...

انفتح الباب ودخلت السيدة موريس:

«كيف تشعرين؟ حان لك ان تستيقظي».

«كم الساعة الآن؟».

«السادسة والنصف. اعتقد انك في حاجة الى فنجان شاي. ساعود بعد دقيقة».

سألتها تامي بسرعة قبل ان تغادر السيدة موريس غرفتها:

«متى عدت من اجازتك؟».

«لقد جئت في الباص، ابكر من عادتي، وعندما وصلت شاهدت السيد هاتون يعطيك حبة من دواء مسكن. كنت ترتجفين كالورقة، وقال لي ريك انك تعرضت لصدمة بسبب خطأ ارتكبه هو في حقك. ولم يذهب الا بعدما عاينك الطبيب، وحسب رأيي لا شك انه تناول هو ايضاً مسكناً. اذ لم اره من قبل في مثل هذا التوتر».

خرجت السيدة موريس من الغرفة تاركة تامي مع افكارها. وبعد اقل من خمس دقائق، سمعت تامي طرقة على الباب، فرفعت الغطاء حتى رقبتها:

«ادخل».

دخل ريك ووقف ينظر اليها. لم تره من قبل على هذا النحو: كأنه عاصفة على وشك الانفجار:

«لماذا لم تخبريني بالأمر؟ هل تعتقدين ان ذلك يفرحني، ان اذكرك بما حدث لك في الماضي؟ لا شك في انك امضيت اسابيع عديدة في المستشفى، لأن الندبات في جسمك تدل على ذلك».

احمرت خجلاً. هل شاهد ندباتها؟ وتساءلت في نفسها عما اذا كان هو الذي ساعدها على خلع ملابسها وارتداء قميص النوم. لاحظ احمرارها فقال بصوت ساخر:

«الطبيب هو الذي تولى الأمر».

جلس قربها على السرير واضاف:

«وما هو الحادث الذي وقع لك في الماضي؟ قال لي الطبيب انك ربما سقطت تحت حصان داس عليك».

اطلقت زفرة وحولت نظرها عنه وقالت:

«شب حريق في اسطبل الخيول القريب من بيتنا. وعا ان والدي طبيب بيطري، فقد استدعوه الى مكان الحادث لمعالجة المصابين من الخيول، وكنت ارافقه. ساعدته على اخراج الخيول من داخل الاسطبل، وتحمس جواد صغير واهتاج، لم تكن الغلطة غلطته، اذ ان الاسطبل كان ... أجنبياً. ما كان ينبغي ان اسحبه لاساعده على الخروج».

وبعد صمت قصير سألها:

«متى ستقبلين بي يا ذليلة؟».

كان ينظر بعيداً ثم اضاف:

«او ربما انا الذي لا اثق فيك».

وفجأة انتصب واقفاً عندما دخلت السيدة موريس حاملة الشاي.

وقبل ان يخرج قال لتامي:

«ساعيدك الى مزرعة والجبر، فقد شفي عاسبي تماماً ويبدأ عمله صباح غد».

شعرت تامي وكأن افكارها مشوشة. فهي تدرك ما يقصد من ذلك. وبينما كانت تتناول الشاي وتحاول ان تأكل الخبز مع الزبدة، شعرت بأنها بدأت تتبدل في صورة كاملة. كان عليها ان تصرخ فرحاً بالعودة الى السيد هاتون، خصوصاً وان ريك هو الذي ترك لها حرية تحقيق ذلك. هل سئم هذه المسرحية؟ هل ان السحر الجديد قد مفعوله؟ وامتلأت عيناها بالدموع.

كفى! قالت لنفسها: حان لك ان تتصرفي كفتاة ناضجة، فاذا كنت حمقاء لانك وقعت في غرام رجل يكرهك، فأنت وحدك

للنزهة.

في صباح اليوم التالي جاء داني ليصطحبها الى مزرعة «الجيجر». لم تشاهد ريك قبل ذهابها وارتاحت لان ذلك حصل.

استقبلها السيد هامتون بيدين مفتوحتين مرحباً بها.

كم هو مفرح ان يشعر المرء بأن هناك من ينتظره ومن يحبه حقاً.

وخلال العشاء لم يكن جيري على المائدة. وبينما كانت تحتسي القهوة في الشرفة، شرح لها السيد هامتون سبب تغيب جيري.

«لقد ارسل جيري الى مزرعة بعيدة جداً من هنا. انه وقت الجز، وفي حاجة الى الجميع. سيذهب ريك ايضاً، وفي آخر الاسبوع، اي مساء السبت، سيقام احتفال كبير. سهرة لا مثيل بها. سيعود الجزازون الى المدينة بعد اسبوع عمل، وسيقدم لهم شيئاً عرفاناً للجميل».

ضحك السيد هامتون وقال:

«في السهرة، سيكون هواة الرقص كثيرين».

«هل سيأتي جيري الى السهرة ايضاً؟».

«لا. ذهب الى العمل هناك لمدة ستة اشهر على الاقل. ويرى ريك ان من الأفضل البقاء هناك اكثر وقت ممكن».

مرت الايام ووجدت تامي نفسها من جديد منغمسة في الاعمال داخل مزرعة «الجيجر». لكنها كانت تشتاق الى ريك، وكان من الصعب عليها الاعتراف بالألم الذي تعانيه من جراء غيابه عنها. وبدت الحياة لها روتينية. عندما تنهي عملها داخل المكتب، كانت تامي تتنزه حول المزرعة. وكان السيد هامتون شديد الانهماك بأعماله اكثر من قبل، لأن جيري متغيب.

وبعد الظهر يوم الجمعة، عادت بولا الى الجامعة. وفرحت لعودة تامي الى مزرعة «الجيجر». لم تتحدث الا عن حفلة الغد.

«يجب ان تحضري الحفلة، يا تامي. لا احد يفوت مثل هذه السهرة. ان شقيقة ميري تخيط لي فستاناً لهذه المناسبة بالذات. علي ان اذهب لزيارتها للتأكد من انها انتهت من حياكته».

وخرجت بولا تاركة تامي في افكارها وتخيلاتها. من جهة، لم تكن تريد حضور الحفلة، ومن جهة ثانية لم تكن تريد اغضاب ريك من جديد. وفكرت بحزن وكآبة، انها ستشعر بالسعادة لرؤيته حتى ولو كان يراقص دياتا سكوت التي ستحضر الحفلة من دون شك.

عادت بولا مسرعة وقالت بحماس:

«لقد انتهى الفستان. ستحضره ميري في صباح الغد».

وراحت تتمشى في الغرفة وتقول:

«آه، يا تامي، سيعجبك الفستان. غداً ترينه. وانت، ماذا سترتدين؟».

«هل من المطلوب ان ترتدي الثياب القصيرة او الطويلة؟».

«الطويلة، بكل تأكيد. والرجال ايضاً سيرتدون ثياب السهرة. انها حفلة كبيرة».

«لست املك سوى فستان واحد. ولا ادري ما اذا كان يصلح لمثل هذه المناسبة».

«طبعاً لا. هيا بنا الى غرفتك كي اراه».

اخذت بولا تامي بيدها وسحبتها الى الغرفة.

وما ان رأت بولا الفستان، حتى وقفت فاغرة الفم. كانت تلمس القماش الناعم والشفاف.

«انه رائع! فستاني يبدو عادياً جداً بجانبه».

سألتها تامي قلقة:

«هل تعتقدين انه من الأفضل ان ارتدي فستاناً عادياً يمكن ارتداؤه في اي مناسبة؟ سأشعر بانزعاج كبير اذا كنت الوحيدة

الاناقة، اكثر من الآخرين».

«آه! لا! ستكون هذه مناسبة لأغاظة الآنسة سكوت. حان الوقت ان يتلقى احد دروسا العظيمة. اذا لم ترتد هذا الفستان، سأغضب منك واقاطعك مدى الحياة. لو كنت في جمالك، لكنت مخطوبة الآن. هل عندك شيء ضد الرجال، يا تامي؟».

«آه! هناك اشياء اخرى في الحياة. اعتقد اني لم التق بعد الرجل المناسب».

في اعماقها كانت تدرك انها وجدته، لكن لا جدوى في ان تفكر بذلك بعد الآن. يجب الاقتناع بأن لا أمل لها في اجتذابه.

تأبط السيد هامتون ذراعي الفتاتين عندما حان الوقت للذهاب الى السهرة. ارتدت بولا فستاناً من الساتان الازرق يظهر بشرتها الشقراء.

وكان شعرها ينسدل على كتفيها. اما تامي فقد رفعت شعرها عالياً خلف رأسها، لكن بعض الخصلات افلتت وتجمعت على رقبتها. القت بولا نظرة الى تامي وهمست: «يا جيري المسكين!».

كانت القاعة مزدحمة بالناس عندما وصلوا. وارتاحت تامي اذ رأت انها ليست الوحيدة ذات الاناقة الرفيعة. الجميع ارتدوا افضل ملابسهم وتزينوا بأروع زينة. ولفتت نظرها فساتين السهرة المختلفة الألوان، حتى الرجال لم يكونوا اقل اناقة، وهم يرتدون بذلات السموكينغ او الغامقة.

وما ان جلست تامي في مكان اختاره لها السيد هامتون، حتى لاحظت وجود ريك. كان يرتدي بذلة السموكينغ. وراح قلبها ينبض بسرعة. ليس غريباً ان تقع في غرامه جميع الفتيات. انه يفوق بقية الرجال بوسامته. وللحظة التقى نظرها بنظره. وكانت نظرته باردة ولا مبالية. فأشاحت تامي بعينيها للحال. خيل اليها انها تلقت

صفعة. وبعد ذلك حاولت عدم النظر في اتجاهه.

وبدأت الرقصة الأولى، وشاهدت تامي ريك يقود ديانا سكوت الى حلبة الرقص. كانت الفتاة رائعة الجمال بفستانها المخمل الأسود الذي يظهر كل تفاصيل جسمها.

شعرت تامي بالغيرة تعصر قلبها، لكن سرعان ما طردت هذا الاحساس. اذا لم تكن تتمتع بالامتياز الذي تحظى به ديانا، فهي على الأقل احيطت بعدد كبير من الرجال راحوا يراقصونها الواحد تلو الآخر. وكانت الآنسة سكوت ترقص مع اقصة الرجال ما عدا ريك.

حان وقت الطعام. كانت تامي محاطة بثلاثة رجال، كلهم يحبون ان يجلبوا لها شيئاً تأكله. ارسلت واحداً ليجلب لها السندويش، وآخر، بعض الحلوى وثالثاً، فنجان شاي. اما بولا فراحت تختار لنفسها ما تريد اكله. كان السيد هامتون يتحدث مع بعض الرجال، فتنهدت تامي وجلست ترتاح، ثم راحت تبحث في حقيبة يدها عن عطرها لتنعش نفسها عندما سمعت ريك يقول:

«شرط الا تفعلي ما تشائين وتحدثي جلبة، يا طفلة!».

رفعت عينيها بسرعة وشاهدت نظرته الباردة. ثم اضاف:

«ستعودين الى المنزل برفقة السيد هامتون. هل تفهمين؟».

كانت عينا ريك كأنهما تقولان لها: حاولي ان تتحديني لتري ما سأفعله!

اخفضت رأسها. وابتعد ريك. لا يتركها تستمتع ولو بنزهة. كلمات قليلة منه تكفي ان تفسد الجو كله.

لم تشعر تامي بأي ملل خلال بقية السهرة، لكنها كانت في اشتياق الى العودة للمزرعة، والى غرفتها، والى سريرها. حيث تنفرد مع نفسها وتتعرض في مخيلتها وتطلق العنان لأفكارها ان ترحل معها حيثما ارادت. قررت ان تكون هذه الحفلة الأخيرة التي تحضرها. لن تتيح

المزرعة لريك هامتون كي يزعجها بعد الآن.

وفي ارتياح ودعت كل المعجبين بها ورفضت ان تدع احدهم يصطحبها. وسمح السيد هامتون لبولا ان يوصلها ابن جاره. كانت بولا تبدو متفائلة متألقة وسعيدة.

ولما خرجت تامي مع السيد هامتون كان ريك يحدث مجموعة صغيرة من الاصدقاء وديانا متعلقة بذراعه. لم تنظر تامي الى هذه الناحية، كانت تعرف جيداً ان ريك يراقبها. هزت كتفيها. وتمنت لأنها لا تتمتع بشجاعة كافية للذهاب مع المعجبين فقط من اجل ان تتحداه.

ساعدها السيد هامتون بالصعود الى السيارة وسألها ما اذا كانت السهرة قد اعجبتها. وفجأة توقف المحرك عن الدوران وتوقفت السيارة.

حاول السيد هامتون ان يقلع مرة اخرى، لكن من دون جدوى، قطب حاجبيه وخرج يفتح صندوق السيارة. ثم عاد يجلب من داخل السيارة الضوء اليدوي. وقال غاضباً:

«ان مضخة البنزين مثقوبة ولم يعد هناك زيت. انتظري هنا يا تامي. ربما هناك من نعرفه يستطيع نقلك الى المزرعة».

توجه الى مكان السهرة. وفجأة سمعت تامي طرقاً على الزجاج. كان أحد الأشخاص الذين راقصوها.

«هل هناك اي مشكلة؟».

وبعد ان شرحت له الوضع، اقترح ايصالها.

نزلت من السيارة ولحقت بالسيد هامتون بسرعة وقالت له:

«هناك شخص مستعد لايصالي الى المنزل. ايمكنك الذهاب؟».

صرخ لها:

«حسناً، اخبري بولا بما حدث. ربما تأخرت بعض الشيء».

وفي هذا الوقت احضر الشاب سيارته. فصعدت تامي وجلست بقربه:

سألته وهي تبتسم:

«انت تدعى دانيل، أليس كذلك؟ اني اشكرك كثيراً».

«لا سبب لذلك. آمل ان تكوني اكثر سعادة بعد فترة قصيرة».

تقلصت وقالت:

«لتوضيح الأمور. ارتضيت ان توصلني الى المنزل، فقط لا غير».

«استرخي، حبيبي. السيد هامتون لن يعود الى المنزل الا بعد وقت طويل. انا اعرف ذلك تماماً. لأنني قمت انا بالذات بعرقلة الأمور».

«ماذا؟».

«لقد سمعت كثيراً. انت الفتاة الانكليزية التي تعمل عند ريك هامتون، أليس كذلك. انا اعرف اني ربما قد لا اكون وسيماً جذاباً مثل حضرته، ولا املك ثروة توازي ثروته، لكن في وسعي ان ادعك تمضين وقتاً سعيداً ولو لفترة قصيرة».

بقيت تامي فاغرة الفم. لا شك انه جدي. فأجابت ببرودة اعصاب:

«اخشى ان تضيع وقتك».

نظرت من النافذة لتحاول معرفة اين هي من الطريق، لكن من دون جدوى. فسألته:

«هل تعرف اين تقع مزرعة «الحجر»؟».

اجابها في لهجة متأكدة:

«طبعاً. ولكنني اقوم الآن بجولة صغيرة. فلدينا الوقت الكافي للعودة الى هناك».

«توقف! سوف اعود مشياً على الاقدام».

«فرجت تامي انه اوقف السيارة. حاولت الخروج منها، لكنه منعها وهو يمسك بذراعها.
«اعتقد انك تدللين، لكني لست احمق».
شدها نحوه وبدأ يداعبها.
لم تكن تامي تتمتع بقوة كافية لمقاومته. اراحت وجهها عنه وراحت تتخبط للتخلص منه. وبدأت تشعر بالغثيان. فاسترخت بعض الشيء آملة ان يتركها. لكنه ظل ممسكاً بها. قال:
«كنت ارغب في هذا طول السهرة. انت رائعة!».
وببطء، ابتعدت عنه بعد ان ارخى قبضته عنها. شعرت بحاجة لأن تصفعه على وجهه. هز رأسه ثم تذمر قائلاً:
«حسناً: اذا كنت ترفضين التجاوب معي، فسأضطر الى معاملتك بقسوة!».
كان يريد عناقها لكنه لم يكن قادراً الا على التمسك بكتفيها. وتمزق جزء من فستانها. فصرخت عالياً:
«عد بي الى مزرعة والحجره الآن! لقد مزقت اجمل ثوب املكه!».
لم تكن في حاجة الى ان تردد ما قالته. لقد اقلع بالسيارة في الحال، وبدأ يقدم لها الاعتذار ويشرح لها انه فقد وعيه وانه سيدفع ثمن ثوبها. واخيراً وصلا الى مزرعة والحجره وهي مرهقة. نزلت من السيارة وتوجهت فوراً الى المنزل. كانت ترتجف وشعرت بقدميها تخوران، وراحت تجر نفسها الى الداخل جراً.
«اين كنت؟».
رفعت رأسها ببطء. لم تكن في حاجة لرؤيته كي تعرف انه صوت ريك. ماذا يفعل هنا؟
راح يتفحصها وانتبه الى تمزيق كتف فستانها. فرفعت للحال

اكمامها امام نظرة ريك الجليدية.
«تأخرت، أليس كذلك؟ ماذا فعلت بهذا الرجل المسكين؟ هل جعلته يفقد عقله؟».
امسك بمعصمها بشدة وسألها:
«من هو؟».
«لا افهم ما تقول. يدعى دانييل. لم اطلب منه شيئاً. في كل حال لم يمزق ثوبي عمداً. حصل ذلك عرضاً وبطريق الصدفة».
قال بلهجة تدل على انه لم يصدق كلامها:
«صحيح؟ لم تشجعيه، طبعاً. لكن تنسين انني اعرف كل شيء. لقد رأيت الى اي درجة انت خبيرة في هذا المجال».
هزت رأسها واغرورقت عيناها بالدمع. ما جدوى الكلام؟
«انك تبكين! هذا ايضاً لا يؤثر بي. أليس لديك حيل اخرى؟».
كانت ترغب في لطمه لكنها تخاف منه. تنفست في عمق وقالت بهدوء:
«لماذا لا تدعني وشأني؟».
قال بهدوء وهو يشد على معصمها:
«اعتقدت انك تلقيت الدرس المطلوب».
وفجأة رفع يده عنها وقال في صوت خفيض وقاس:
«اغربي عن وجهي».
وولت تامي هاربة الى غرفتها.

١٢- رجل وحصان أبيض

لم يعد السيد هامتون الا في الفجر. شعرت تامي بوصوله، اذ كانت لا تزال عاجزة عن النوم. وبعد قليل سمعت صوت سيارة اخرى تقلع.

هل انتظر ريك هانون عودة السيد هامتون؟ شعرت بحلقها يجف وهي تفكر في الطريقة التي نظر فيها اليها. غرزت رأسها في الوسادة وبدأ الدمع ينهمر من عينيها. يا لها من غبية! كم كانت ترغب في رؤيته يغضب لدى مشاهدتها! ومع هذه الأفكار اخلدت تامي الى النوم، مرهقة الأعصاب.

وفي صباح اليوم التالي، استيقظت على صوت ادني تغني. ظلّت فترة مغمضة ثم نظرت الى ساعة يدها وانطلقت مسرعة. كانت الساعة

الثامنة. نهضت ثم تذكرت ان اليوم هو يوم احد ولا عمل لديها، عادت الى فراشها من جديد. فالجميع هنا يستيقظون متأخرين في أيام الآحاد.

سمعت طرقاً على الباب ومدت ميري رأسها من الباب وسألتها:

«هل تودين احتساء الشاي، يا آنسة داتون؟».

ابتسمت تامي وهزّت رأسها ايجاباً.

شربت الشاي وابلغت ميري انها لن تتناول فطور الصباح. ثم دخلت الحمام واغتسلت حماماً. وحتى ذلك الوقت لم تسمع تامي شيئاً عن بولا. هل سمعت بولا صراخ ريك مساء امس؟ هل ان بولا تتحاشى لقاء تامي حتى لا تزعجها، او تحرج موقفها؟ ان بولا فتاة لطيفة ولا تحب ان تجرح شعورها.

ارتدت تامي ثيابها عندما سمعت بولا تصرخ:

«سوف اذهب لأمارس رياضة كرة المضرب. سأراك بعد ذلك، في حفلة الهواء الطلق، عند ريك».

توقفت تامي عن تزرير ثيابها. لا! لا تريد ان تلتقيه بعد حادثة امس. لا احد، حتى ريك نفسه لن يقنعها بالذهاب الى مزرعة «الصخرة». —

كيف يمكن لبولا ان تفكر بانها ستلقاها هناك. لا شك انها على علم بالامر. ان غرفتيهما تبعدان عن المدخل. يا لحظها! لكن ماذا قال ريك للسيد هامتون؟ اغمضت عينيها. ماذا لو انه متحامل لريك؟

انتهت من ارتداء ملابسها وتزيين وجهها وتسريح شعرها ثم نزلت الى غرفة الجلوس. ولفترة اعتقدت انها وحدها، لكنها سمعت سعالاً قادماً ناحية الشرفة. لا شك ان السيد هامتون هناك. توجهت نحوه.

كان يحتسي القهوة فدعاها الى الانضمام اليه. سكبت لنفسها

فنجاناً وجلست قربه. شعرت بانه يريد ان يقول لها شيئاً، لكنه لم يكن يعرف من اين يبدأ.

«في ما يتعلق بليلة امس...».

رأى وجه تامي يتقلص، فأسرع يضيف:

«اسمعيني، اعرف ان ريك سبب لك مشكلة، وهذه غلطتي. كان عليّ ان أتأكد من الرجل الذي سيقلك، وان كل شيء على ما يرام قبل ان اوافق على ان ادعك تذهبين. لم اكن افكر حينذاك الا في اصلاح سيارتي. انا الذي تحت استحق التأنيب برغم انه لم يعفني من ذلك، انا ايضاً. لا اعرف ماذا يدور في عقله هذه الايام. انه يتصرّف كحيوان. لقد انبك كثيراً، اليس كذلك؟».

«ليس اكثر من العادة. كان علي ان ارحل. والحقيقة ان وجودي هو الذي يجعله غاضباً».

«يا له من رجل ابله! لقد كنت اعتقد انه سيغيّر تصرفه».

ظلت تامي ساكتة. كان بامكانها ان تقول للسيد هامتون ان ريك لن يتغير ابداً. لكنها تذكرت الحفلة في الهواء الطلق التي ستقام ظهر اليوم.

«يا سيد هامتون، لن اذهب اليوم الى الحفلة التي ستقام في الهواء الطلق».

تنفس الصعداء ثم قال:

«اعتقد ان ريك يتوقع ان تفعل ذلك. فقد قال انه سيعتذر لك عدم حضورك».

خفضت عينيها بسرعة ونظرت الى فنجانها. هذا يناسبها تماماً. ربما يكونان قد توصلا اخيراً الى نوع من الهدنة. واذا استمرت الامور على حالها فستعود الى بلادها.

وخلال الغداء، سببت بولا بثرثرتها المتواصلة انزعاج الجميع.

وكانت تتحدث بمزاح عن نجاحها الباهر في مباراة كرة المضرب. واشارت الى حفلة الهواء الطلق وارادت معرفة سبب رفض الذهاب. فانتبهت الى والدها يشير اليها بعينيه ان تبدل الحديث، فاطاعته وفكرت تامي بأن بولا ستكون الزوجة المثالية لرجل دبلوماسي.

وغيرت بولا الموضوع وقالت:

«صباح اليوم كان ينقصنا لاعب واحد. الفريق يجب ان يتألف من ثمانية، لكن دانيل ايفرسلي اضطر الى الذهاب في مهمة عاجلة. غادر صباح اليوم. ومساء امس لم يذكر هذا التغيير ابداً».

حدقت تامي في صحنها. لم يضيّع ريك وقته. لا يمكن ان يكون قد حدث ذلك التغيير بالصدفة. كيف عرف؟ لقد سماه «الرجل المسكين»، كان يشفق عليه. اذن لماذا يعاقبه الآن؟ هذا يتعدى تفهّمها!

وعندما حان موعد الذهاب الى حفلة الهواء الطلق، اقترحت بولا على تامي ان تبقى معها حتى لا تتركها وحيدة. لكن تامي لم تكن تريد ان تحرمها من هذه الحفلة التي تحب المشاركة فيها.

«اني متأخرة في رسائلي، كوني لطيفة ودعيني اكملها».

كتبت تامي رسالتين فقط الى رفيقتين تعرفهما من ايام المدرسة. وشعرت بالندم وهي تفكر بجوناثان: كانت تحب ان تبعث اليه بعنوانها، لكنها تعرف تماماً انه سيحاول المجيء لملاقاتها. يكفيها ما تعانيه من مشاكل ومجيء جوناثان سيعقد الامور اكثر. ومع الوقت لن يعود ريك يبالي بها.

كانت قد اخلدت الى النوم عندما عاد السيد هامتون وبولا. دخلت بولا الى غرفة تامي وايقظتها صارخة وهي تجلس في المقعد بجانبها:

«لقد جنّ جنونه! لو رأيت ديانا سكوت كيف كانت تتبختر امامه. اذا تزوجها ريك، فلن اتكلم معه بعد الآن!».

حزنت تامي وحاولت ضبط النفس وسألتها بلامبالاة مصطنعة:

«وماذا حدث؟».

«ريك سيذهب مع ديانا الى سيدني ليقابل ذويها».

بدأ قلب تامي ينبض بسرعة جنونية.

«وماذا يعني؟ هل هذا شيء غريب؟».

تنهدت بولا وقالت:

«اني انسى دائماً انك انكليزية. في هذه البلاد، يعني انه يخطبها. طبعاً اذا لم يعجب ريك بعائلتها، فلن يطلب منهم يدها. فاذا كان الجميع في غرورها وادعائها، فلن تتم الخطبة. ان ريك ليس مولعاً بالمظاهر».

«وهل يريد ان يتزوج العائلة كلها ام ديانا سكوت فقط».

قطبت بولا حاجبيها:

«في الحقيقة، لم اسمع ريك يتكلم عن هذه الرحلة. ربما ديانا هي صاحبة الاقتراح. انها مغرمة به حتى الجنون... اضافة الى ثروته الضخمة».

نهضت بولا للحال وقالت:

«من الافضل ان ادعك تنامين».

لكن تامي لم تنم ما فيه الكفاية، وبسبب ذلك ما اخبرتها بولا اياه. كان من المفروض ان تشعر بارتياح لهذا الخبر. اذا عقد ريك هاتون خطوبته على ديانا فسيكف عن ملاحقتها. وسيكون لديانا سكوت كلمتها في هذا الامر. تذكرت تامي نظرتها العدائية.

وفي الغد ذهبت بولا الى الجامعة. وبدأت تامي الحزينة الكئيبة تحاول استعادة الروتين اليومي. قريباً ستعود على فكرة زواج ريك.

لا مفرّ لها من ذلك. اغرورقت عيناها بالدموع. لماذا لا تتوصل الى ضبط انفعالاتها؟!

كانت تأمل الا تسمع كلاماً حول حياة ريك هاتون العاطفية متى ذهبت بولا. لكن في المساء وبينما كانت تجلس في الشرفة عاد السيد هامتون يطرح الموضوع من جديد. وكان يشعر بانزعاج كبير مثل بولا.

«سبق ان قلت لك ان ريك هاتون تبدّل في الايام الاخيرة. لم يتصرف هكذا من قبل. هذا يدل على ان الزواج وارد. لقد ذهب صباح اليوم».

لم تعد تامي قادرة على تحمل اكثر من هذا.

«هل يزعجك ان اقوم بنزهة صغيرة حول الحديقة؟ ان المساء جميل».

وافق ضاحكاً وقال:

«لو كنت اصغر بعشرين سنة، لكنت رافقتك».

شعرت تامي بثقل في قلبها، وهي تتنزه في الحديقة وتستنشق اريج الزهر. جمال المنظر يبدو مختلفاً. كل شيء له طعم ناعم ومرّ. ربما مع الوقت، تصبح هذه القصة الحزينة حلماً ما كانت ترغب في ان يحدث. وبرغم منها كانت تفكر بريك وديانا. هل ستكون مجبرة على حضور حفلة زواجهما؟ لا

لن تتحمل ذلك. عليها الرحيل في الحال. ان ريك في سيدني الآن. اي انه بعيد جداً عن اديلايد. ولن يتاح لها فرصة كهذه للرحيل.

كانت غارقة في افكارها عندما سمعت صوتاً آمراً يناديها.

رفعت عينيها وحدقت بالرجل الواقف امامها.

«جوناثان؟!».

وبعد لحظة وجدت نفسها بين ذراعيه يعانقها ويقول بصوت قاس:

«انت تستحقين صفعة. لماذا لم ترسلي عنوانك؟».

ولما استعادت نفسها، ارادت التخلص منه، لكنه ظل يشدّ على خصرها.

فأجابت:

«لم ارسل لك عنواني لأنك خدعتني. لقد شاهدتك تود في الطائرة».

ضحك وقال:

«كنت قلقاً جداً عليك. لقد وبخته لأنه لم يعد يعرف لك اثراً».

ابعدها عنه وراح يفحصها بانتباه.

«لقد لوحتك الشمس. وهذا يناسبك».

«وماذا تفعل هنا في مزرعة «الحجر»؟».

فقال مازحاً:

«لم اكن اريد ان تنسي وجودي».

جذبها نحوه واضاف بلطف:

«لقد اشتقت اليك جداً، يا حبيبتي».

«آه! جوناثان!».

«هل اشتقت الي؟».

«نعم»

كان ذلك صحيحاً، لقد حرمت لطفه وكرمه وعنايته واهتمامه.

«الآن، في هذه الحال، سوف نتزوج».

فصرخت مذعورة:

«لا! آه! جوناثان، لا اعرف. اريد فقط ان اعود الى انكلترا،

غداً او بعد غد، في اسرع وقت ممكن».

اجهشت في البكاء. تركها تبكي ثم مسح دموعها بمنديله وقال:

«هل يمكنك ان تنتظري حتى يوم الاربعاء؟ اعطيت موعداً لزيارة احدى المزارع التي تربي المواشي. فقد قال لي السيد بالفن ان الاجبان والالبان لذيذة الطعم وذات شهرة عالمية».

هزت رأسها:

«شرط ان اذهب هذا الاسبوع بالذات، لا اهمية لتيم. هل ذكرت اسم السيد بالفن؟».

«نعم. وقد وبخته هو ايضاً لم يذكر انه التقى بك، منذ مدة طويلة».

«هل تعرفت الى السيد هامتون؟».

مدّ ذراعه حول خصرها واعادها الى المنزل:

«نعم، وأرسلني الى الحديقة العامة، قال لي انني سوف احل مكانه، او ما يشبه ذلك».

ضحكت رغم الدموع:

«قال لي انه لو كان اصغر بعشرين عاماً لكان رافقني الى الحديقة العامة».

«صحيح؟ اذن يجب علي مراقبة السيد هامتون».

وفكرت تامي، ليس هو الذي من المفروض مراقبته. لكنها ادركت انه من الافضل السكوت. ان جوناثان رجل هادئ، لكن اذا عرف كيف كان ريك هامتون يعاملها، لحطّم له وجهه.

شكراً، يا الهي، فقد وصل جوناثان بينما كان ريك هامتون على بعد اميال عديدة من هنا.

راودتها فكرة اخرى. اذا اخبرت السيد هامتون عن نيتها في العودة الى انكلترا، سوف تضعه في وضع حرج وصعب للغاية.

اذن؟ لن تقول له شيئاً. سوف نكتب له كلمة تشكره لعطفه وعونه. وسيفهم تماماً سبب رحيلها ويمكنه بذلك ان يثبت لريك انه لم يكن على علم مسبق بذهابها.

«جوناثان، لا تقل للسيد هامتون اني عائدة الى انكلترا. ليس هو السيد هنا وربما اراد ان تحصل على اذن ليسمح لي بمغادرة المكان. وربما اخذت تلك الاجراءات اسابيع عدة ولا اريد ان انتظر طويلاً».

لم يطرح عليها اسئلة. فقد ادرك ان هناك شيئاً آخر يقلقها. واحسّ بأن تامي غير سعيدة وتريد العودة بسرعة. وهذا ما يريده.

«اتفقنا، يا حبيبتي»

وقبل ان تدخل الى المنزل، التفتت اليه وسألته:

«اين تسكن الآن؟».

«في فندق «الملكة». انه جيد بالنسبة الى بلد صغير. في كل حال، لن ابقى طويلاً. وقد حصلت الآن على ما كنت ابحث عنه».

ظهر السيد هامتون من عتمة الشرفة وتأكدت تامي انه سمع ما قاله حرفياً جوناثان. كانت تأمل منه الا يفكر كثيراً بالأمر.

وبعد القهوة غادر جوناثان المكان. واتفق مع تامي على ان يأتي صباح الغد ويصطحبها معه الى مزرعة الماشية. فقد وافق السيد هامتون على ان تذهب معه، اذ شعر ان الوقت قد حان للحصول على بعض التسلية. لكن قبل ان تتوجه الى فراشها قال لها وهو يرمقها بنظرة ساخرة:

«انه رجل حسن المظهر، يا تامي. لم يبعد نظره عنك. يُخيّل اليّ انه رجل حازم، ومتزن ويعرف ما يريد».

وبينما كانت في السرير، راحت تفكر بكلمات السيد هامتون. فقد حكم على جوناثان جيداً في البداية. انها وحدها تعرف الى اي درجة يمكن ان يصل عناده.

وفي تلك الليلة حلمت ان رجلاً يمتطي حصاناً ابيض يلاحقها. وصوت حوافر الحصان تقترب شيئاً فشيئاً الى ان لاحظت بالضبط ان الرجل لم يكن سوى ريك هامتون بالذات. كان يلوح لها بورقة بيضاء. وهي كانت تركض بسرعة الى ان استيقظت مذعورة.

١٣ - افهميني . . . وصدقيني

في صباح اليوم التالي ايقظت الشمس تامي، التي ظلت ممددة في السرير لفترة تراقب اشعة الشمس المترجرجة في سقف الغرفة. وتساءلت كيف هو الطقس الآن في انكلترا. وارتعشت لدى تذكرها الهواء البارد والليالي المليئة بالضباب. فاتجهت للحمّام وغادرت السرير. بقي امامها يوم واحد تقضيه في استراليا، وغداً تكون في طريق العودة.

غداً . . . تناولت حقيبة الزينة ومنشفة وتوجهت الى الحمام لتأخذ حماماً كالعادة. فهي لا تريد ان تفكر بالمستقبل، اذ لديها كل الوقت للتفكير فيه خلال الايام الطويلة الحزينة التي تنتظرها.

وكانت قد انتهت من تناول فطور الصباح عندما وصل جوناثان

وهو يرتدي بذلة فاتحة اللون. شعره الاسود المشعث يلمع تحت وهج النهار. وقبل ان يتسنى لتامي ان تفعل اي شيء، كان قد اختطفها بين ذراعيه. فابتسم السيد هامتون ابتسامة متسامحة.

«هل انت حاضرة، يا حبيبتي؟».

هزت رأسها والتقطت سترتها وحقيبة يدها والتفتت صوب السيد هامتون.

«الى المساء. وشكراً للسماح لي بأخذ يوم عطلة».

«تمتعي بوقتك يا صغيرة. اتمنى لك كل السعادة».

توجهت الى السيارة متأبطة ذراع جوناثان. وبعد قليل، لاحظ جوناثان ان تامي مسترسلة في افكارها، فسألها:

«ما بك يا حبيبتي؟ تبدين حزينة؟».

ابتسمت وقالت:

«لن ارتاح قبل ان اصبح في انكلترا».

قطب حاجبيه وسألها:

«هل تعذبين الى هذا الحد؟».

«طبعاً لا! لقد عشت تجربة رائعة، لكني اشعر بحنين الى الوطن. اعتقد اني انكليزية متعصبة».

ضحك وضغط على يدها وقال:

«غداً، في مثل هذا الوقت، تكون في طريق العودة».

تطلعت تامي الى المنظر الذي يمر امام عينيها. حقول القمح تشبه البساط المذهب. والنسيم الخفيف يحني قليلاً سنابل القمح.

ولما وصلا الى مزرعة الماشية كانت الشمس في اوج اشراقها. وضعت تامي قبعتها القش وكذلك جوناثان الذي ساعد تامي على النزول من السيارة وتأبط ذراعها في الطريق المؤدي الى المزرعة.

انفتح باب المستودع وجاء رجل لاستقبالهما. وراح يصافحهما فاذا

يده وقائلاً:

«صباح الخير يا سيد جوناثان دوو. اني ادعى جيم ديلي. صباح الخير يا آنسة. اتفضلان احتساء الشاي او القاء نظرة الى الماشية اولاً؟».

سأل جوناثان تامي:

«هل تشعرين بعطش، يا حبيبتي؟».

«كلا. شكراً».

فقال جوناثان:

«سوف نشرب شيئاً بارداً بعد جولتنا. اليس كذلك، يا سيد ديلي؟».

«حسناً. من هنا، آنسة...».

فاكمل جوناثان:

«دانتون. دلنا الى الطريق ونحن نتبعك».

المزرعة كناية عن اسطبل واسع في داخله مختلف انواع الحيوانات، الصغيرة والكبيرة. انها تشبه حديقة حيوانات. هناك اسطبل للبقر والعجول والخراف. وهناك الأرانب والدجاج والبط والوز ثم الجبنة. الوف اطنان الحليب تتحول يومياً الى اجبان من مختلف الانواع تصدّر الى جميع اقطار المعمورة. لم يتسن لجوناثان وتامي ان يزورا المزرعة بكاملها اذ ان مساحتها تفوق ملايين الهكتارات. واعلن جوناثان انه راض تماماً عما شاهد. وانه اذا ضمن المزرعة سوف يدخل اليها آلات ضخمة حديثة تعطي انتاجاً اكبر واسرع. كما ينوي تأسيس مشروع للحوم المعلبة. كان الحرّ يزداد مع قدوم الظهيرة، وبدت تامي مرهقة من شدة الرطوبة فاقترحت على جوناثان العودة لاحتساء بعض الشراب، فوافق على ذلك.

وبينما هما عائدان الى منزل السيد ديلي، التقت عينا تامي فجأة بعينين رماديتين باردتين. انه ريك هاتون، مستحيل... انه في سيدني!

فقال السيد ديلي:

«صباح الخير يا ريك. اعتقدت انك في سيدني!».

«صباح الخير يا جيم. لقد عدت صباح اليوم».

كان يوجه كلامه الى السيد ديلي، لكن عينيه تحدقان بذراع جوناثان الضاغطة على خصر تامي. وكانت تامي تشعر بسعادة كونها بقرب من تحبها. فاقتربت من جوناثان اكثر فاكثر ورأت عيني ريك تضيقان.

«صباح الخير آنسة دانتون. الا تعملين اليوم؟».

انتفضت ثم استعادت وعيها. حكم الخوف ولّى. ان جوناثان هو معها الآن.

اجابت بهدوء:

«لقد سمح لي السيد هاتون بأخذ نهار عطلة».

ثم التفتت الى جوناثان واضافت:

«جوناثان، هذا رب عملي، السيد ريك هاتون. سيد هاتون اقدم لك السيد دوو، صديقي العزيز».

ضحك جوناثان واضاف:

«صديق عزيز جداً».

ثم مدّ يده مصافحاً ريك وقال:

«تشرفنا بمعرفتك، يا سيد هاتون».

وللحظة اراد ريك ان يجهل يد جوناثان الممدودة نحوه، لكنه سرعان ما مدّ يده وضغط على يد جوناثان. وفكرت تامي في ان جوناثان سيفهم موقف ريك تجاهها

قال السيد ديلي موجهاً كلامه الى ريك:

«سوف آتي بكؤوس المشروب».

قال ريك:

«هل تهتم بالألبان والأجبان يا سيد درو؟».

ابتسم جوناثان واسرع ديلي يوضح لريك قائلاً:

«انه السيد جوناثان درو، مدير شركة استيراد الألبان والأجبان وتصديرها».

هز ريك حاجبيه ورمق تامي بنظرة حالمة وهمس:

«جيد، جيد».

كانت تامي تعرف بماذا يفكر ريك الآن. كان يشك في ان جوناثان موجود فعلاً. كما انه يشك ان يكون غنياً كما قالت له تامي ذات يوم. وتعجبت كيف يمكن لريك الا يكون قد سمع عن هذه الشركة التي مركزها الاساسي لندن!

كانت تامي تتمنى ان يرحل ريك، لكنه ظل جالساً غير مبال. ثم اخذه جوناثان جانباً وراح يحدثه عن صناعة اللحوم المعلبة.

ثم دخل الجميع الى غرفة الجلوس. فجلس جوناثان قرب تامي، واذا بريك يجلس قربها ايضاً في الجهة الثانية، بينما راح السيد ديلي يحضر الكؤوس والشراب.

عمّ الصمت لحظة ثم فتح جوناثان الحديث قائلاً لريك:

«قال لي السيد بالتن انك تملك معظم المزارع هنا وان لك نفوذاً كبيراً في المنطقة».

فأجابه ريك وهو يرمق تامي بنظرة قاسية:

«آه! هكذا اذن. ان السيد بالتن هو الذي اعلمك بالأمر».

ادركت تامي بماذا يفكر ريك الذي قال:

«ستعودين غداً الى العمل، يا آنسة دانتون، أليس كذلك؟».

حلق فيه جوناثان. وقالت تامي لنفسها: شرط الا يبوح بالسر.

سأله جوناثان في لهجة بريئة:

«اوجو الا تمانع في ان استعيرها منك، يوماً او يومين؟».

«لا بأس اذا كان ذلك لمدة يوم او يومين، فقط. ان لدي اعمالاً ملحة ولا يمكنني الاستغناء عنها اكثر».

لم تكن تامي قادرة ان تنظر اليهما، فحدقت بيديها المتقلصتين الموضوعتين على ركبتيها.

عاد السيد ديلي مع الكؤوس والمشروب. فسكبت تامي للجميع، وكانت آخر من شرب رغم عطشها القوي.

وبعدما انتهت تامي من شرابها الذي جرعته دفعة واحدة، قدم جوناثان لها كأسه وقال:

«خذي واشربي من كأسي، يا حبيبتي، واشفي غليلك».

قطب ريك حاجبيه وهو يسمع هذه الكلمات الحنونة من فم جوناثان. فشربت من الكأس ونظرت الى جوناثان وقالت:

«شكراً، حبيبي».

ثم جذبها جوناثان نحوه وطبع قبلة سريعة على خدها. فرمقها ريك بنظرة قاسية وقال لجوناثان:

«الا تريد ان توقع على العقد مع السيد ديلي؟».

وقف السيد ديلي وطلب من جوناثان:

«اتحب ان تدخل معي الى المكتب؟».

وقف جوناثان، ومدّ يده الى تامي، لكن ريك تدخل قائلاً:

«سأهتم بالآنسة دانتون في غيابك».

كان واضحاً ان ذلك لم يعجب جوناثان، لكن لم يكن في وسعه ان يفعل شيئاً. نظر الى تامي وقال:

«انتظري هنا. لا تتحركي من هنا».

ثم تبع السيد ديل الذي عبر الحديقة متجهاً الى المكتب.

كان قلب تامي ينبض بسرعة جنونية. ظلّت عيناها تحدقان بالكاس في يدها. فاخذ رينك الكاس من يدها ووضعها على الطاولة وقال:

«هكذا اذن، وصلت الى هنا؟».

«لا اعرف عما تتكلم».

«آه، نعم. انظري اليّ».

وبالرغم عنها حدقت فيه، فتابع:

«كيف تريدين ان يكون زوجك؟ هل تريدينه كلباً يركع على قدميك؟».

«ليس جوناثان كلباً».

«معك، نعم. انه واقع في غرامك الى درجة انه فقد السيطرة على عقله».

«شيء رائع بالنسبة الى المعاملة التي تلقيتها هنا».

صرخ قائلاً:

«حسناً! لكن ماذا بوسعي ان افعل؟ ان ازحف على قدمي؟. انت تعرفين اني لن افعل ذلك ابداً. واذا اردت ان تعرفي الحقيقة، فليس هو الوحيد الذي فقد عقله من اجلك. انا ايضاً. لقد جننت منذ اليوم الاول الذي رأيتك فيه».

لم تكن تصدق ما يقوله. انه يريد ان يقول انه يحبها! هلعت وهزت رأسها قائلة:

«ليس هذا صحيحاً... لا اقدر... انك تخبرني ذلك حتى اقع في الفخ. حسناً، انك تضيع وقتك. اني لا اصدق هذه القصة الخرافية».

ضغط على يدها بقسوة وقال:

«من الافضل ان تصدقي ذلك. اني ابدي اعجابي بك واغازلك. ربما ما اقوله اصبح بالياً في يومنا هذا، لكني انوي الذهاب معك الى النهاية. هل تفهمينني؟».

اغمضت عينيها. انها تتمنى ان تصدقه. شدت يدها على يده بقوة. تريد ان ترفعها الى خدها وتصرخ له بأنها تحبه الى درجة عالية. وشعرت بالدموع تتصاعد الى عينيها. لماذا عاد من سيدني بهذه السرعة؟ لماذا عليها ان تقاسي هذا العذاب؟

تقلصت وهزّت رأسها ببطء وهمست في صوت خفيض:

«اني آسفة. لا حاجة لأن افهم شيئاً».

«لن اتخلى عنك. لن اتركك يا قليلة. انت ملكي كما انا ملكك وانت تعرفين ذلك جيداً».

توقف لحظة ثم اضاف:

«حتى ولو اضطررت ان اكرس حياتي من اجلك، فسأتوصل يوماً لأؤكد لك عاطفتي».

الاصوات التي تقترب اعادت الى تامي وعيها. فسحبت يدها ونهضت لتذهب لملاقاة جوناثان. يجب ان تبتعد عن رينك، لتشعر بالامان. اذا اخذها بين ذراعيه، فانها حتماً ستفقد وعيها.

١٤- تفسير الحب

سألها جوناثان وهما في السيارة بعدما ودّعا السيد ديلي وريك هاتون:

«هل من مكان تحبين الذهاب اليه، يا حبيبتي؟».

«لا».

انها تحب ان تذهب الى أي مكان شرط أن يكون بعيداً عن ريك.

لم تنظر وراءها عندما ابتعدت السيارة عن المزرعة. كانت تعرف ان عينين رماديتين تتبعان السيارة.

فسألها جوناثان:

«من هو ريك هاتون؟».

اجابت وهي نصف واعية:

«انه صاحب نفوذ والجميع هنا ينفذون أوامره».

«أتعرفين ان هذه المزرعة هي ايضا ملكه».

«صحيح؟».

فهزّ جوناثان رأسه وقال:

«اشتراها من السيد ديلي. والعقد الذي وقعته كان يذكر اسمه بالتفصيل».

ـ أليس هناك حديث آخر يمكن لجوناثان ان يفتحه. لا تريد ان تسمع عنه شيئا الآن!

اخيراً قرّرا تناول الغداء، ثم القيام بنزهة حول المراعي الخضراء والعودة الى الفندق في المساء لتناول العشاء. لا تريد تامي ان تفكر بشيء آخر. انه يومها الأخير في استراليا.

كان الوقت متأخراً عندما أوصلها جوناثان الى مزرعة «الحجر». حاولت ان تبدو مرحة، لكنها لم تستطع ان تطرد ريك هاتون من افكارها. وببطء وهدوء عبرت البهو، وعيناها مليئتان بالدمع. واذا بها تسمع صوتاً خلفها. فتقلصت وتوقفت.

«هل امضيت سهرة حلوة، يا دليلة؟».

قالت بدون ان تلتفت:

«نعم. شكراً».

لم تعد تتساءل كيف يفعل ريك ليكون في كل مكان في وقت واحد.

«تعالي الى المكتب، أريد ان أكلمك».

«الوقت متأخر. ألا يمكنك ان تنتظر حتى الغد؟».

«لا. انت تعرفين ذلك جيداً».

تذكرت تامي انه لن يسمعها. وانها المرة الاخيرة التي سيستعمل فيها سيطرته. ومن الأفضل اطاعته.

اقفل باب المكتب وظل واقفاً يحدق فيها. ثم راح يتأمل وجهها بهدوء وهي تحدق فيه وتقول لنفسها: احفرها في ذاكرتك يا سيد هاتون، انها المرة الأخيرة التي ستراني فيها.

فجأة سألها بلطف:

«هل تكرهينني او تحبينني؟».

انقبض قلبها وحذرت نفسها وأجابت بهدوء:

«عليك ان تعرف الجواب. فأنت خبير في هذا المجال، أليس كذلك؟».

«اني احاول ان أبقى هادئاً. لكنك لا تسهّلين مهمتي».

لم تعد قادرة على التحديق فيه، فأدارت ظهرها ثم توجهت نحو الكرسي، بقرب المكتب وظلت واقفة متكئة على ظهر الكرسي بيديها المتقلصتين.

فقال بصوت قاس:

«لا تريدين أن تتنازلي عن كبريائك ولو لفترة صغيرة، أليس كذلك؟ أنت تظنين بأني كنت اعذبك، لكن ما رأيك فيما عانيت أنا بالذات؟ لماذا، حسب رأيك، أعذبك لي مزرعة «الحجر» لحمايتك، فقط لا غير؟ لم اكن متأكداً من نفسي. ومعظم الوقت كنت أريد ان اخنقك لأنك كنت تغلبينني، ونادراً ما كنت أريد أن أسيطر عليك بعناق كاليوم. وأنت تعرفين أني اكاد افوز بذلك».

لم تقدر تامي على الخضوع. فهي غير متأكدة، لا من نفسها ولا منه.

سألته في لهجة مريرة:

«ما الذي جرى؟ وماذا قررت لصلحتي؟ ألا تتحمل أن تفقد كبش المحرقة، أي ضحيتك؟ هل تصبح الحياة بالنسبة اليك روتينية؟».

ظل ساكتاً لحظة ثم أجاب بصوت غير ثابت:

«لن تصبح فقط روتينية، انما لن يكون لها معنى بعد الآن. أنت الانسانة الوحيدة التي اطلب منها ان تسامحني. لقد قلت لي مرة انني اعاقبك لحادث في الماضي. لقد كنت أعاقب نفسي ايضاً».

توقف لحظة ثم أضاف:

«لقد ضعت عندما رأيت عينيك الزرقاوين. كنت أعي ذلك، لكني كنت أقاومه في الوقت نفسه. لم أكن أريد ان يحصل لي ما حصل لوالدي في الماضي».

اقترب من تامي التي ظلت جامدة لا تجرؤ على التحرك:

«وعندما يعذب المرء المرأة التي يحب، يا دليلة، يكون قد عذب نفسه اضعافاً. كنت أريد ان اقنع نفسي بأنك انسانة تحب المغامرات الطموحة، وانك خفيفة وسطحية. وبحثت عن كل شيء حتى تكوني مذنبة أمام عيني».

جذبها نحوه وهمس في أذنها:

«ليلة الحفلة الراقصة، عرفت ان احداً سوف يوصلك. فانتظرت عودتك. وعندما شاهدت في أي حالة كنت، كنت على وشك ان اخنقك. كنت املك البرهان الذي كنت ابحث عنه طيلة الوقت. كان عليّ ان اصرخ فرحاً، لأني اصبحت حراً. وان كل شيء قد انتهى».

توقف لحظة وكانت تامي تحبس انفاسها ثم عاد يقول:

«مشيت طوال الليل. قررت ان اتركك تعودين الى بلادك. ثم تبين لي اني لا أملك القوة لأقوم بذلك. لا يهم من تكونين، كنت احبك كثيراً! ولا شيء يهم بعد ذلك. كنت أريدك لي. وطلبت من دانييل ليفرسلي بعض التفسيرات. كنت أغار لدرجة اني أريد معرفة كل شيء في الحال. فقال لي انه حاول فقط ان يقبلك وأنت رفضت

ذلك. لو حاول اكثر لكنت ارتكبت [illegible] وقتله».

شعرت انها تستسلم له، لكنها نجحت في القول:

«غير انك ذهبت الى سيدني مع ديانا للتعرف الى عائلتها».

«نعم. ذهبت. والتقيت احد اعمامها الذي يهتم ببيع الأراضي. لكن لماذا؟... آه! اني أفهم الآن. لقد حيكت الأقاويل حول هذه السفرة، أليس كذلك؟».

وشدّ على يدها وأضاف:

«أتريدين معرفة سبب ذهابي الى سيدني. هناك مزرعة منعزلة على حدود المراعي التي املكها. انها مهجورة منذ عدة سنوات، لكن هناك مجال لبث الحياة فيها من جديد».

اغمضت تامي عينيها. وفكرت بجوناثان وفي نيتها العودة الى انكلترا. فقتح ريك الموضوع مكانها وسألها بهدوء:

«أما زلت تنوين الرحيل صباح الغد؟».

انتفضت. لا شك ان احداً سمع جوناثان يحجز مكانين في الطائرة.

فأجابته بصوت يرتجف:

«لا أعرف».

لو يبتعد عنها فقط حتى تفكر في الأمر. لكنه عكس ذلك كان يضغط عليها بقوة حتى انها شعرت بأن ظهرها سيتحطم. وفجأة سحب يده وقال بصوت هادىء:

«لم اعطك الوقت الكافي للتفكير في الأمر، أليس كذلك؟ اني اعرف بأن عليك ان تغادري في الصباح الباكر. اذا قررت اختيار جوناثان فليكن ما شئت. اعتقد اني تأخرت في ان اعرض عليك الزواج مني».

كان صوته ناعماً ويرن مثل صوت رجل ربح المعركة. نعم ريك

هاتون انتصر!

«اذهبي الى النوم، يا دليلة. ربما وجدت الجواب في الحلم».

امتلأت عيناها بالدمع وهرعت الى غرفتها.

نامت من كثرة الارهاق، غير قادرة ان تعرف حقيقة ما جرى. ان صوت ريك الهادىء الذي يعلن لها عن حبه، يمحو كل الباقي. غداً ستحل مشكلة جوناثان...

وفي صباح اليوم التالي، وعندما فتحت عينيها، احتلها فرح كبير. قال لها ريك انه يحبها، وانه احبها منذ البداية. غادرت السرير تريد ان تصرخ امام الجميع معلنة عن سعادتها الكبرى لكنها فجأة تذكرت جوناثان. فجلست على طرف السرير ونظرت الى ساعة يدها. سيأتي جوناثان بعد أقل من ساعة. هل في امكانها ان تتصل به هاتفياً. انه حل جبان. يجب ان تقول له الحقيقة وجهاً لوجه. وماذا لو قرر البقاء. وكيف يمكنها ان تمنع الرجلين من العراك. ريك اتخذ قراره النهائي، ولن يذهب بعيداً ليفرض رأيه.

ابتسمت. فهي تحبه هكذا، ولم تكن تريد ان يكون مختلفاً عمّا هو...

دخلت الحمام وأخذت حماماً سريعاً ثم ارتدت ملابسها. وراحت تسرّح شعرها وتفكر بتفسير يقنع جوناثان. لكن كيف في امكانها ان تفسر له حبها لريك؟ الحب لا يفسر!

وجاءت ميري تنبهها بأن جوناثان سيأتي بعد ربع ساعة. فتناولت فنجان شاي. وشيئاً فشيئاً بدأت تفقد ثقتها. كانت تنظر الى ساعتها كل خمس ثوان. وقبل خمس دقائق من الساعة الثامنة، نهضت تامي وتنفست بعمق وخرجت من الغرفة.

سمعت محرك سيارة امام المنزل. فتوجهت للقاء جوناثان. فتحت الباب ووقع نظرها على ريك هاتون الذي قال لها في

هدوء:

«لن يأتي».

حدقت فيه وقد افجعتها المفاجأة:

«سوف يسافر في الطائرة ذاتها. يمكنك ان تذهبي وتودعيه، لكن الافضل الا تفعلي ذلك».

وفكرت للحال بأن جوناثان لن يكون مسروراً لرؤيتها. فأسرع ريك هاتون يقول:

«انه على ما يرام. لقد... لقد حدثته عن الموضوع الآن».

«ولماذا من الأفضل ألا اودعه؟».

«لم امض الليل كله وراء باب غرفتك، لأراقب ما اذا كنت ستغادرين المنزل في وقت باكر وتذهبين الى فندقه، كي اراك في آخر لحظة تأخذين الطائرة وترحلين!».

نظر حوله ليرى ما اذا كانت قد اعدت حقائبها. ولما تأكد من ذلك، ابتسم وقال:

«انت تحبينني اذن؟».

اقترب منها بخطوات حازمة.

ومن جديد شعرت بالغضب تجاهه. فهو لا يترك لها الخيار. انه هو الذي يقرر في النهاية!

قالت له:

«يمكنني ان آخذ الطائرة. في كل حال سوف أحضر حقيبتي!».

ركضت لتدخل الى المنزل، فلحق بها وتمسك بها قبل ان تصل الى غرفتها.

فهمس وهو يأخذها بين ذراعيه:

«كما قلت لك دائماً، سوف أسيطر عليك واخضعك».

وبعد عناق طويل، سألها:

«والآن، هل توافقين على رؤية الأمور حسب طريقتي؟».

ما زالت غاضبة قليلا عليه، لكن عندما قبلها قالت:

«يا ريك هاتون، ألست في حاجة لأن تحلق ذقنك».

«صحيح، يا حبي؟ كانت أطول ليلة في حياتي».

رفعها بين ذراعيه وحملها حتى وصل الى مقعد في الحديقة.

فهمست تسأله:

«ريك، ماذا حدث بينك وبين جوناثان؟».

نظر اليها بانتباه ثم اجاب:

«ادركت ان جوناثان يعرفك اكثر مما كنت تتصورين. فقد حزر ما يجري بيننا، لكنه كان مستعداً ان يقبل ان تعودي اليه، فقط للتحدي... الى ان قلت له انك لن تعودي اليه».

ثم همس:

«اتريدين يا دليلة، ريتشارد سامسون هاتون زوجاً شرعياً لك؟».

ابتعدت قليلا لتنظر اليه وهمست في فرح:

«ريتشارد سامسون...».

هزّ رأسه وقال:

«اعتقد اني عرفت منذ البداية كيف ستكون النهاية».

www.liilas.com/vb3
Sarah